كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر

حَمَّادُ الرّاوية

٧٥هـ - ١٥٥هـ

كبيرُ رواة الشعرِ العربي المُفترى عليه

الأستاذ الدكتور
عبداللطيف حمودي الطائي
كلية الكوت الجامعة

طبعة ثانية مزيدة ومنقحة
٢٠٢٤م ١٤٤٦هـ

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

كلية الكوت الجامعة

٣ / ٩٢٢

ط ٢٩٩ الطائي، عبداللطيف حمودي.

حماد الراوية: كبير رواة الشعر العربي المفترى عليه/ عبد اللطيف حمودي الطائي.- ط١- بغداد : مطبعة كلية الكوت الجامعة،مركز البحوث والدراسات،٢٠٢٥م

١٤٠ص ؛ ٢٤سم .

١ - الرواة- تراجم -٢- الراوية،حماد (راوي) أ - العنوان

رقم الايداع

١٦١/ ٢٠٢٥

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

١٦١ لسنة ٢٠٢٥ م

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في كلية الكوت الجامعة غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

بسم الله الرحمن الرحيم

{ نرفعُ درجات من نشاء، وفوق كل ذي علمٍ عليم }

سورة يوسف، الآية : ٧٦

الإهـــداء

الى :

العلماء الأعلام الذين خدموا اللغة العربية بأمانة وإخلاص

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرضَ الأدبُ العربي الذي سبق الإسلام، وكذلك الأدب الإسلامي لمشكلاتٍ متعددةٍ، منها ما هو قديمٌ تمثلَ بالنحلِ والانتحالِ والتشكيكِ في صحةِ الروايةِ الشفوية، والطعن في شخصياتِ رواتها، وحديثاً شككَ فيهِ بعضُ المستشرقينَ، وكان مارجليوثُ أشدهم كلباً على الأدبِ العربي في عصر ما قبل الإسلام، فصنعَ نظريةَ الشكِ سيئةِ الصيت، في محاولةٍ خبيثةٍ بائسةٍ لنسفِ الموروثِ الأدبي العربي الذي سبق الإسلام، لاستئصالِ جذوره، وقد نفذَ المستشرقُ الخبيث النوايا، مارجليوث ومن بعده الدكتور طه حسين عبر الاتهاماتِ والتجريحاتِ المتبادلة بين العلماءِ والنقادِ والرواةِ أنفسهم، وإنْ كانَ معظمُ تلكَ الاتهاماتِ والتجريحاتِ صنيعةً شعوبيّةً دبرها أعداء الدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية الشريفة، فقد مثلتْ معضلة صعبة وكبيرة ، وصنعتْ حاجزاً صعباً، وكانت سببًا في عزوفِ عددٍ كبيرٍ من دارسي الأدب العربي في عصر ما قبل الإسلام والنفور منه، والابتعاد عن دراسته، وهم في حيرةٍ وشكٍ من أمرهم، فهم بين راويةٍ صادقٍ وآخر مُفترٍ كذاب، وهم بعيدون زماناً ومكاناً من تلك المرحلة التأسيسية المهمة من تاريخ الأدب العربي، ومما يزيدُ من حيرتهم وشكهم، هو أنَّ الدسَّ والاتهام طالَ كبارَ رواة الشعر العربي الذي سبق الإسلام والشعر الإسلامي، من أمثال حمّاد الراوية، وخلف الأحمر، وغيرهم، لذا فالأمرُ يتطلب معالجةً جذريةً ومراجعةً متأنيةً لتلك المعضلة، وإيجاد الحلول الصحيحة لمعالجتها، لكي يأخذُ الدارسون وطلابُ العلم والمعرفة، الشعرَ الذي سبق الإسلام والشعر الإسلامي وهم مطمئنون إلى صحة روايته، وصدقِ رواته، وقد تصدى أكثرُ من باحثٍ قديمًا وحديثًا، لهذه المشكلة المعضلة، إلا أنَّهم لم يتفقوا على حلٍّ لها، فقد تباينت آراؤهُم بين من يؤيدُ صحةَ تلكَ الاتهاماتِ، ويريدُ الصاقها بالأدب العربي لأسبابٍ لستُ بصددِ الوقوفِ عندها، وبين منْ يرفضها حفاظاً على تراثِ الأمةِ العربية من الضياعِ، وبعضُهم كان منصفاً في بعضِ المواطن، ومنذ أنْ درستُ الأدبَ العربي الذي سبق الإسلام في مرحلة الماجستير، وأنا أرى مرويات حمّاد الراوية، وخلف الأحمر، وهما من كبارِ الرواة، فضلاً عن كونهما من طبقة الرواد للرواية الشعر العربي الذي سبق الإسلام والشعر الاسلامي ؛ إذ وصل عبر

قناتي روايتهما معظمُ التراث الأدبي العربي المتمثل بالشعر والنقد وأخبار الشعراء والمجالس الأدبية والنقدية وحتى اللغوية، ومع ذلك فإنَّ روايتهما تتقاذفها الأمواجُ بين رفضٍ غيرِ مسوّغٍ، وغيرِ معقولٍ، وقبولٍ غير مقنعٍ، وغيرِ منطقي، ولم ترسُ سَفَنُ روايتهما على شاطئٍ معينٍ، ولم يحسمْ أمرها، فآليتُ على نفسي، أنْ اقومَ بحركةٍ تصحيحيةٍ، عبر اعادة النظر في الرواية العربية للشعرِ القديم ورواتها، وذلك عن طريق اعادة قراءة تلك الروايات بدقةٍ كبيرةٍ وحذرٍ شديدٍ، بعد جمع نصوصِها في ملفٍ واحدٍ، وتمحيصُ كلِّ ما جاءَ فيها من أخبارٍ تتبادل التهمِ والتجريحِ والتكذيبِ وتدقيقها، ومن بعدِ ذلك جمعها في ملفٍّ واحدٍ، وعرضها على محكمةٍ أدبيةٍ، لمحاكمةِ نصوصِها واستنطاقها، لمعرفةِ الحقيقةِ المجردةِ منها بعيدًا عن الأهواءِ والصراعاتِ، وسأقفُ بمسافةٍ واحدةٍ عن جميعِ الرواة، ليأخذ كلُّ ذي حقٍّ حقَّهُ من غيرِ انحيازٍ إلى هذا أو ذاك، ليظهر الأدب العربي بوجههِ الأبيض البهي الناصع، ويقبلُ عليهِ القراءُ والدارسون والباحثون، وهم مطمئنون الى صدقِ الرواة وصحة الرواية، وهدفي في ذلك سامٍ يتمثلُ في الوصولِ الى الحقِّ والحقيقةِ، خدمةً للغةِ العربيةِ الكريمة وكتابها المقدس، القرآن الكريم ، وتراثها الخالد ، وبدأتُ الخطوةَ الأولى عبر الشروعِ بجمعِ المعلوماتِ والرواياتِ القادحةِ منها بحمّادِ الراوية والمادحة لهُ، المتناثرة في صفحات المصادر القديمة، التي تناولت العالم الراوية حمّاد الراوية، وتطرقتْ اليه، وجمعتُها في ملفٍ واحدٍ، وبعد ذلك شرعتُ بالخطوةِ الأولى، فكتبتُ الفصل الأول الذي حملَ عنوان (حمَّادُ الراوية بين يدي القضاء الأدبي)، ليكون منطلقاً لكتابةِ الفصول الأخرى، وفي هذا الفصل أجريتُ محاكمة علمية أدبية لتلك النصوصِ عبر مواجهةِ بعضها مع بعضٍ، لاستنطاقِها واستنباطِ الحقيقةِ منها، وفي المحصلةِ النهائيةِ ظهرَ حمَّادُ الراوية بريئاً مما رميَ بهِ من التهمِ والتكذيبِ والتجريحِ، إذْ وصلَ إلينا معظمُ الشعر العربي القديم والإسلامي عبر روايته ونقله، من مثل المعلقات، ودواوين كبار الشعراء مثل امرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى، والحطيئة، وغيرهم، فضلاً عن شهادةٍ كبار رواة الأدب العربي ونقاده ببرائتهِ من تلك التهمِ من أمثال : أبو عمرو بن العلاء، وأبو سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي، وأبو عمرو الشيباني، والهيثم بن عدي، وأبو الطيب اللغوي، وأبو البركات الأنباري، وابن النحاس، وابن الشجري، وشراح المعلقات، وغيرهم وكان هذا الفصل، هو الفصل الأول، وقد اهتمَ بدراسةِ السيرة الشخصية لحمّاد الراوية، وموارده الثقافية، وبعد ذلك أجريتُ المحاكمة الأدبية للنصوص التي

قدحتْ بصحةِ رواية حمَّاد الراوية ، أما الفصل الثاني، فقد جاءَ بعنوان (حمّادُ الراوية : آثارُهُ وآراؤُهُ النقديةِ وأخبارُهُ)، فقد كان الفصلُ شاملاً لكلِّ ما وصلَ إلينا من أخبارهِ وآرائهِ وآثارهِ التي وقفتُ عليها، ذلك لأنَّهُ كان كبيرُ رواةِ الشعر العربي ونقاده، فضلاً عن كونهِ من رواةِ الطبقة الأولى، وهوَ من الرواةِ الرواد على حدِّ وصفِ الدكتور ناصر الدين الأسد، وكذلك هو رأسُ الطبقة الأولى من العلماء اللغويين في الكوفة، وهذه الطبقة تكونتْ من عالمين اثنين فقط، هما حمّادُ الراوية، وجاء أبو البلاد الأعمى ثانياً من بعدِهِ، في حين كانَ المفضلُ الضبّي رأساً للطبقةِ الثانيةِ بمعيةِ ثمانيةِ علماءٍ، هذا ما قالَ بهِ أبو بكر محمد بن الحَسن الزبيدي الأندلسي، صاحبُ كتاب طبقات النحويين واللغويين، والبحثُ أثبتَ أنَّ حمادَ الراوية كان حقّاً من كبارِ رواةِ الرواية الشفوية، فضلاً عن كونهِ من كبارِ رواةِ الرواية المكتوبة، إذ كان يكتبُ كلَّ ما كان يحفظُ ويروي ويدونهُ في رقوقٍ وقراطيسٍ، ولم يلقبْ أحدٌ من رواةِ الشعر العربي بالراويةِ غيره، وهذا ما يؤكدُ سعةَ روايته وكثرتها، فضلاً عن أنَّ علماءَ المِصْرَيْن (البصرة والكوفة) أخذوا أشعارَهم عنه، من كتابه (أشعارُ العرب) المفقود، كما قال أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، وقد توصلَ البحثُ إلى أنَّ حمَّادَ الراوية وباعتمادِ الأخبارِ التي نقلتْ عنه، أنَّهُ ألفَ مصنفاتٍ أدبيةٍ متعددةٍ كما صنعَ كثيرًا من الدواوينَ لكبارِ الشعراءِ العرب، وبعضُ القبائل العربية، ولعلَّ أبرز ما صنفهُ حمَّادُ الراوية هو كتابهُ المشهور (أشعارُ العرب) المفقود والذي جمع فيه أشعارَ العربِ التي كانت تُروى في عصره، ومن كتابهِ هذا أخذ الرواةُ الشعرَ العربي القديم، ومنه وثقوا رواياتهم، و سدوا ما فيها من الثغراتٍ والنواقصٍ، ولكن للأسفِ أنَّ الكتابَ فُقدَ مع ما فُقدَ من كتبِ التراثِ الأدبي العربي، بسببِ موجاتِ الإعدامِ التي تعرضَ لها الكتابُ العربي غضون الغزو المغولي، وسقوط الدولة الفاطمية، وسقوط الدولة الأموية في الأندلس، فضلاً عمّا أحرقهُ المغول ودمروه من الكتب العربية وهم في طريقهم لغزوِ بغداد، ومع ذلك وجدتُ ستَ اشاراتٍ دلتْ على الكتابِ، وأشارتْ إليهِ، وعندَ مَنْ كانتْ تلك النسخ، وأنَّ النسخةَ الأم التي كتبها حمَّادُ الراوية بخطِّ يدهِ ، كانتْ في حوزةِ العالم الراوية صعوداء، كما قال هو، وكذلك صنعَ حمّادُ الراوية ديوان امرئ القيس، وقد أشار إلى ذلك العالم الراوية الأصمعي، وكذلك جمعَ شعرَ زُهير بن أبي سلمى، وقد أكدَ هذهِ الحقيقة محققا الديوان، وكما أثبتَ الفصلُ الثالث ذلك، وصنعَ ديوانُ الحطيئة، كما قال السُكري، وجمعَ أشعارُ الرَّبابِ، وقد أشارَ الى ذلك الآمدي في كتابهِ المؤتلف

والمختلف، واختار القصائدُ السبعِ الجاهلياتِ المشهوراتِ، وقد وثقَ ذلك ابن الأنباري وابن النحاس، فضلاً عن آرائهِ النقدية المبثوثة في المصادر والمظان، وكذلك جمعتُ في هذا الفصلِ معظمَ الأخبار التي رواها حمَّادُ الراوية ونقلها لنا، وأما الفصلُ الثالث، فقد تناولَ روايةَ حمَّاد الراوية لشعرِ الشعراءِ الفحول، فقد روتْ الأخبار عن الأصمعي قوله : إنَّ كلَّ ما بينَ أيدينا من شعرِ امرئ القيس، فهوَ بروايةِ حمَّاد إلا نتفاً سمعتها من أعرابٍ، وأبي عمرو بن العلاء، إلا أنَّ هذا الفصلُ عدلَ عن امرئِ القيس، ليتحولَ الى زُهيرِ بن أبي سلمى، ذلك لأنَّ ديوانَ امرئ القيس يعرفهُ الجميع، وأنَّ راويتَهُ الأول هو حمَّادُ الراوية في حين لا يعرف كثيرون أنَّ ديوانَ زُهير بن أبي سلمى، كان حمَّادُ الراوية راويته الأول، وعنه أخذ الرواةُ الآخرون رواياتهم، وحملَ هذا الفصلُ عنوان (شعرُ زُهير بن أبي سلمى في مُفكرةِ حمَّاد الراوية) وقد أثبتَ الفصلُ أنَّ هناكَ ثلاث عشرة قصيدةً منقولةً نقلًا مباشرًا من كتابِ حمَّاد الراوية المفقود، الذي كان يحمل عنوان (أشعارُ العرب) إذ كان ثعلبُ، وصعوداءُ، وأبو عمرو الشيباني، ينقلون رواياتهم منه، كما أشاروا هُمْ في مواضعٍ متعددة من ديوانِ زُهير بن أبي سلمى، وسيطلعُ عليها القارئ الكريم في اثناء قراءته للفصل الثالث، ولا يعني ما قلناه، أنَّ هذه القصائد هي كل ما نقلوه من كتابِ حمَّاد الراوية ، ولكنَّ الاشارة جاءتْ فيها صريحة إلى أنَّ هذهِ القصائدَ منقولةً من كتابِ حمّاد الراوية، علماً أنَّ كلَّ فصلٍ من الكتابِ سيكونُ قائماً برأسهِ من حيثِ الهوامشِ والمصادر، وأرجو أنْ ينالَ الكتابَ رضى القراء الكرام من الأساتذةِ المختصصينَ بالأدبِ العربي القديم والإسلامي ونقدهما، وطلابُ العلمِ والمعرفةِ والثقافةِ .

ومن الجديرِ بالذكرِ أنَّ هذا الكتابَ هو ثمرةُ تفرغي العلمي – سنة واحدة – في جامعة دمشق –كلية الآداب والعلوم الانسانية في العام الدراسي ٢٠٠٩ – ٢٠١٠م، وكان الموضوعُ المرشح لكتابة البحث يحمل عنواناً هو : ((حمّادُ الراوية كبير رواة الشعر العربي المفترى عليه))، فتوكلت على الله، وحزمتُ حقائبي وسافرتُ الى دمشقَ للشروعِ بجمعِ المعلوماتِ المطلوبة عن البحث، تمهيدًا لكتابته، وفي غضون مرحلة جمع المادة تأكدَ لي أنَّ الموضوعَ شائكٌ ومعقدٌ، لأنَّ حمّادَ الراوية، خصومهُ كثيرون يرمونه بالكذبِ والانتحالِ، ويحاولون الاساءةِ إليهِ بشتى الطرق، ولو عن طريق الكذبِ والافتراءِ والنحلِ، وهذا يتطلبُ بذلَ جهودٍ كبيرة ومضنيةٍ لفرزِ الأخبارِ الصحيحةِ من غيرِ الصحيحةِ، وبدأتُ العمل، وقد واجهتني معضلةٌ صعبةٌ وكبيرةٌ جداً، تمثلتْ في عدم حصولي على

الاقامةِ في دمشقَ، مما جعلني في ترحالٍ دائمٍ بين بغدادَ ودمشقَ، وهذا ما أرهقني وجعلني أسرعُ في الكتابةِ مختزلاً أربعة شهور من المدةِ المقررة، وبفضلٍ من اللهِ وتوفيقهِ تمكنتُ من انجاز الكتاب ؛عن طريق العملِ الدؤوبِ والمستمر، ومواصلة العملَ يوميًا ولساعات طويلة، وتم انجازِ الكتابِ المطلوبِ في الوقتِ الذي أردتُهُ أنا .

وفي الختامِ أقولُ : الحمدُ للهِ ؛ الذي ذللَ لنا الصعابَ، ويسرَ لنا السُّبلَ، لانجازِ كتابةِ الكتابِ، ولا يسعني في نهايةِ هذهِ الرحلةِ الشاقةِ والصعبةِ إلا أنْ أقولَ : وما توفيقي إلا باللهِ العلي العظيم، عليهِ توكلتُ ؛ وبهِ أستعينُ والحمدُ للهِ، أولًا وآخرًا، وصلّى اللهُ تعالى على نبيينا محمدٍ وعلى آلهِ الطيبينَ الطاهرينَ الكرامَ وصحبهِ الغرَّ الميامينَ وسلمَ تسليماً كثيراً .

عبداللطيف الطائي

٢٠٢٤/١١/٥

الفصل الأول

حمّاد الراوية بين يدي القضاء الأدبي

حمّاد الراوية بين يدي القضاء الأدبي

المقدمة

كم من بريءٍ لاحقتهُ الاتهاماتِ، وطالتهُ الاتهاماتُ، ومن ثم الأحكام القاسية فانهالتْ عليه الإشاعاتُ وتوالتْ عليه الاداناتِ والتجريحاتِ، وهو من كلِّ ما رُميَ بهِ بريءٌ، وعلى النقيض من ذلك نجدُ هناك بطولات مزيفة أسبغت على أشخاصٍ، وهي لا تعدو أنْ تكون مجردَ أكاذيبٍ، أو افتراءاتٍ ليس لها أساس على أرضِ الواقعِ من الصحةِ شيء، وقد يُنصفُ المظلوم، ولو بعد حينٍ، بعد أنْ تقارشته سهامُ العداوات الشخصية، المتمثلة في الحسد والبُغض والكراهية، حتى يقيضُ اللهُ سبحانه وتعالى لهُ من يرفع الظلم والحيف عنه وينصفه، ويعيدُ إليه حقه الضائع، ويبدد عنه السحب السود التي أحاطت بسيرته الشخصية، وأظهرتهُ للناس على غير حقيقته التي كان عليها فعلًا في حياته .

حمّادُ الراوية، كبيرُ رواة الشعر العربي القديم و الإسلامي، كان راويةً موسوعيًا لفنونِ اللغة العربية وآدابها ونقدها، وقد منحهُ اللهُ سبحانه وتعالى، لسانًا لافظًا، وقلبًا حافظًا، وفكرًا ثاقبًا، وحمّاد الراوية يمثلُ احدى أهم قنوات رواية الشعر وأخباره ونقده، التي وصل عبرها من عصر ما قبل الإسلام إلى عصر تدوين الشعر، وصنع عددًا من دواوين القبائل، ودواوين الشعراء، والمجاميع الشعرية .

وحمّادُ الراوية هو أولُ من اختار القصائد المعلقات السبع، وباسمه اقترنتْ، ومع ذلك يُتهم بالكذب والوضع والنحل، ويُرمى بأنّهُ يلحن ويكسر، ومنذ أنْ درستُ الأدب العربي القديم والإسلامي في مرحلة الماجستير، وأنا أرى مرويات حمّاد تتقاذفها الأمواج بينَ الرفضِ والقبولِ، فإذا كان حمّادُ الراوية غير موثوقٍ بروايته، فلماذا لا يرفضُ العلماءُ مروياته، ويسقطونها من كتب الأدب العربي، ويخلصوا التراث من كلِّ أثر سلبي له ؟ فيكون لهم دورٌ حازمٌ في حمايةِ التراث الأدبي العربي من الشعوبيين، ومن الدخلاء عليه، وإبعادهم من ساحة رواية الشعر العربي واسقاطهم من قائمة رواة الشعر العربي، أو أنْ يبرؤا ساحة الرجل من التهم الموجهة إليه وينصفوه، لكي يأخذُ الباحثون والدارسون بمروياته وهم مطمئنون الى صحة مروياته، وحينما اطلعتُ على كتاب مصادر الشعر

الجاهلي وقيمتها التاريخية، وجدتُ الدكتور ناصر الدين الأسد، قد تعرض لشخصية حمّاد الراوية وأنصفهُ، إلا أنَّهُ لم يحكم له بالبراءة، فأغراني ذلك بأنْ أكتب بحثًا، أجمعُ فيه كل التهم والأحكام التي رُمي بها حمّاد الراوية ؛ وأقفُ عندها وقفةً علميةً متجردةً من كلِّ شيءٍ، لأقوم بعد ذلك، بمحاكمة تلك النصوص واستنطاقها وصولًا إلى معرفةِ الحقيقة منها، هل كان حمّادُ الراوية بريئًا مما رُميَ به من التهم ؟ وهل كان وضاعًا حقًا كما هو متهمٌ به، يدُسُّ في أشعار الشعراء، ما لم يقولوه لأعطيَ بعد ذلك كلِّ ذي حقٍّ حقَّهُ، وقد بذلتُ من أجل ذلك جهودًا كبيرةً ومضنيةً، سيطلعُ عليها القارئُ الكريم ويقدرُ قيمة الجهد المبذول في خدمة تراث أشرف لغةٍ لأكرم كتابٍ، وأملي كبير بأنْ يوفقني الله تعالى إلى كشف الغموض الذي أحاط بسيرة حمّاد الراوية، وأظهره على غير حقيقته، فإن أصبتُ في مسعاي فبفضل من الله وتوفيقه، وإنْ جانبتُ الصوابَ، فذلك من نفسي، وحسبي أنِّي اجتهدتُ، ولكلِّ مجتهدٍ نصيبٍ، والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلى الله تعالى على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

المبحث الأول : سيرة حمّاد الراوية

١ – شخصيته :

اختلف الرواة في اسم أبيهِ فهو حمّادُ بن سابور بن المبارك بن عبيد المكنى بأبي القاسم (١)، فيما قال ياقوتُ الحموي (٢) : (إنَّ حمّاد بن ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمي مولى بني بكر بن وائل، وقيل مولى مكنف بن زيد الخيل)، لذلك قيل هو : حمّادُ بن أبي ليلى (٣) فيما قال ابن قتيبة : إنَّهُ حمّاد بن هرمزان، وإنَّ والده من سبي مكنف بن زيد الخيل، أو من سبي أخيه عروة بن زيد الخيل (٤)، وقال أبو بكر محمدُ ابن الحسن الزبيدي : (هو حمّادُ بن هرمز ويكنى أبا ليلى)، وهو رأسُ الطبقة الأولى من اللغويين الكوفيين (٥) يُلقبُ بالراوية، لُقب بذلك لكثرةِ ما كان يروى من الشعر العربي القديم والإسلامي، وقد سألهُ الوليد بن يزيد الخليفة الأموي عن أسباب تلقيبهِ بالراوية فقال له (٦) : بم استحققت هذا اللقب فقيل لكَ حمّادٌ الراوية ؟

قال : لأنَّي أروي لكلِّ شاعرٍ يعرفهُ أمير المؤمنين أو سمع به، ثم أروي منهم ممن تعترفُ بأنَّك لا تعرفهم ولا سمعت بهم، ثم لا أنشدُ شعراً لقديمٍ أو محدثٍ إلا ميزتُ القديمَ منه من المحدثِ .

قال : إنَّ هذا لعلم، وأبيكَ كثير، فكم مقدارُ ما تحفظ ؟

قال : كثيرٌ ولكنّي أنشدكَ على أيِّ حرفٍ من حروفِ المعجمِ مائة قصيدةٍ كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية .

قال : سأمتحنك وأمرهُ بالإنشاد، وأنشدهُ حتى ضجر الوليد) .

وفي رواية أخرى أنَّهُ قال للوليد بن يزيد (٧) : (أروي سبعمائة قصيدةٍ أول كلِّ واحدةٍ منها بانت سعاد....)، ثم استخلف على الاستماع منه خليفة حتى وافاه ما قال) إذ أنشدهُ ألفين وتسعمائة قصيدةٍ لجاهليين، فأمر لهُ بمائةِ ألفِ درهمٍ (٨)، لذلك كان حمّادٌ هو الراويةُ هو الراوية المقدمُ من بين الرواة عند الوليد بن يزيد (٩)، وحمّادُ الراوية ينحدرُ من أصلٍ غير عربي، إذ كان أبوهُ سابور، المكنى بأبي ليلى من سبي الديلم، وسباه مكنف بن زيد الخيل الطائي، ووهبه إلى ابنته ليلى (١٠)، ومن هنا أرجحُ أنَّهُ اكتسب الكنية (أبو ليلى)، وخدم سابور ليلى خمسين سنة، وبعد وفاتها اشتراهُ عامرُ بن مطر الشيباني، بمائتي دينار وأعتقهُ (١١)، وُلد حمّاد الراوية سنة ٧٥ هـ في الكوفة (١٢)، وقيل وُلد سنة ٩٥ هـ (١٣)، وأنا أتفق مع الرأي الذي يقول إنَّهُ في وُلِدَ سنة ٧٥هـ، لأنَّهُ

ليس من المعقول أنْ يفد على الخلفاء راوية بعمرٍ صغيرٍ، فيأخذون منه الأخبار ويستشيرونه فيها، وفي عرف العلماء يعد من كان بهذا العمر راويةً مبتدئًا، درس حمّاد الراوية في مسجد الكوفة ، وفيه نشأ وتعلم، فقال يصفُ مسجد الكوفة (١٤) : (شاهدنا في هذا المسجدِ قومًا، كانوا إذا خلعوا الحذاءَ، وعقدوا الحُباءَ وقاسوا أطرافَ الحديثِ، حيروا السامعَ، وأخرسوا الناطقَ)، وحمّاد الرواية، هو من رواة الكوفة، قال جرجي زيدان (١٥) : (إنَّ رواة الكوفةِ هم : حمّاد الراوية، ولقبه الحرجوبي، وجناد، وابن الجصاص والمفضل الضبّي)، وقال ابن النطاح (١٦) : (كان حمّادُ الراوية في أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليكَ، فنقبَ ذاتَ ليلةٍ على رجلٍ، وأخذ مالهُ وكان فيه جزءٌ من شعرِ الأنصار، فقرأهُ حمّادٌ، فاستحلاهُ وتحفظهُ، ثم طلبَ الأدبَ، والشعرَ، وأيامَ العربِ، ولغاتها بعد ذلك ترك ما كان عليه، فبلغ في العلم ما بلغ)، وكان ذلك الشعرُ يمثلُ نقطة التحول في حياة حمّاد الراوية الشخصية، إذ تحولَ من اللصوصية والصعلكة إلى رواية الشعر وإنشاده، وذلك بعد أنْ ثابَ إلى رشده، وتابَ إلى ربه سبحانه وتعالى، فاختار المعلقات السبع، وقد أكدَ هذه الحقيقة أبو البركات الأنباري (١٧) : (وأما حمّاد الراوية، فإنّهُ من أهل الكوفة، كان مشهورًا برواية الأشعار والأخبار، وهو الذي جمع السبع الطوال)، أما ابن النحاس فقد أيد صحة ما قاله أبو البركات الأنباري في قوله (١٨) : (إنَّ حمّاد هو الذي جمع السبع الطوال)، وبدأ ذكرهُ يشيعُ في عالمِ روايةِ الشعر ونقده وانشاده وينتشر، ويزدادُ ألقًا وبريقًا ولمعانًا يومًا بعد يومٍ، حتى صار أعلمَ الناس، في أخبار العرب، وأنسابها، وأشعارها، وأيامها (١٩)، حتى قيل له (٢٠) : (أما تشبعُ من هذه العلوم ؟ فقال : استفرغنا المجهود، فلما بلغنا المحدود، كنا كما قال الشاعر:

إذا قطعنا علماً بدا علمْ)

ولابدَ لتلك الشهرة من ثمنٍ يدفعهُ حمّادُ الراوية، الذي فاقَ اسمهُ كبارعلماء العربية، ورواة أشعارها المعاصرين له، فبدأ تلاميذهم، وأنصارهم يبغضونه، ويحسدونه على ما وصل إليه من مرتبة علمية عالية، فأخذوا يتهمونهُ بالكذب والنحل واللحن، سواء بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشر، ولعلَّ أبرز خصوم حمّاد الراوية المباشرين هم : المفضل الضّبي (ت١٦٨هـ) ويونس بن حبيب الضّبي بالولاء (ت١٨٣هـ) وأبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢٠٩هـ) وأبو سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي (ت٢١٦هـ) ؛ ومحمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) ؛ وتلاميذهم، محمد بن زياد

المعروف بابن الأعرابي (ت٢٣١هـ)، ومحمد بن سلّام الجمحي (ت٢٣١هـ)، ومن بعدهم أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٠هـ)، وابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) والشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، وياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) ومن المعاصرين الدكتور طه حسين، والدكتور محمد مهدي البصير، وغيرهم ممن سار على نهج الرواة السابقين من الذين قدحوا على حمّادِ الراوية .

حينما نسلطُ الأضواء على أسماء خصوم حمّاد الراوية نجدُ أولهم المفضل الضّبي يمثل الند لحمّاد الراوية على والمنافس له على زعامة الشعر وروايته في الكوفة، وإنَّ ذكرهُ وصيته بدأ بالانحسار والخفوت، بعد ظهور نجم حمّاد الراوية في سماء رواية الشعر العربي ونقده، وكان لابدَّ له من اتخاذ اجراءاتٍ يوقف بها حالة التداعي والتراجع في مكانته الأدبية في رواية الشعر ونقده، فاتهم حمّاد الراوية، سواء بشكلٍ مباشر، أو بشكلٍ غير مباشر، وأما الخصوم الآخرون، فهم من مدرسة البصرة المنافسة لمدرسة الكوفة، وصراع المدرستين على زعامة رواية الشعر ونقده، وهدفهم واضحٌ وجليٌ وصريح، هو شقُّ صفوف مدرسة الكوفة، لإضعاف موقفها، ليتسنى لهم الغلبة والزعامة، وذلك من طريق الطعن في شخصية زعيمها حمّاد الراوية، انتصاراً لمدرستهم، ولو من طريق التعصب الأعمى المصحوب بالحسدِ والكراهية لحمَّاد الراوية، ومدرسة الكوفة المنافسة لها، والاستثناء الوحيد في خصوم حمّاد الراوية، هو ابن الأعرابي الذي كان كوفيًا، ذلك لأنَّهُ تلميذ المفضل الضّبي وابنهُ المدلل، وابن عبد ربه الأندلسي الذي كان بعيدًا عن زمن الصراع، وخارج مكانه، لأنَّهُ من أهل الأندلس، لذا يمكن القول (٢١) : (إنّ ما نلقاهُ من اتهامات وتجريحات بين الرواة من البلدين، إنما شاع في القرن الثالث الهجري، هذا القرنُ الذي شهد تأجج الخصومات بين العلماء البصريين والكوفيين، فتلاميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأبي عمرو بن العلاء، وحمّاد الراوية هم المسؤولون عن اشاعة ما كتب من الأقوال والأحكام التي تُنبئُ عن تعصب أعمى وتحامل وبغض)، وأما الدكتور طه حسين فقد هجم على الأدب العربي القديم كله نافيًا وجوده، وطعنهُ في الصميم عن طريق اتهام حمّاد الراوية بالنحل والانتحال، ومن بعده الدكتور محمد مهدي البصير، إذا درس الدكتور طه حسين والدكتور محمد مهدي البصير في جامعة السوربون التي كان لها باعٌ طويل في التشكيك بصحة التراث العربي ولا سيما الشعر القديم، وكان الدكتور ناصر الدين الأسد رجلاً عالماً، وعادلاً منصفاً، يعرفُ حقَّ الله وحقَّ التراث العربي ورواته، فقال مفنداً مزاعم أهل البصرة

وافتراءاتهم، ممن يتهمون حمّاد الراوية به فقال (٢٢) : (لو كان حمّاد الراوية كما يصفون، لما اعترف أبو عمرو بن العلاء رأس المدرسة البصرية بفضله وتقديمه على نفسه)، وهذه الشهادة كما تقول الأعراف والتقاليد، هي شهادة رجلٍ من أهلها، وأبو عمرو هو زعيم مدرسة البصرة وشيخها وكبير رواتها، والمنافس الكبير لحمّاد الرواية على زعامة رواية الشعر ونقده، وهو أحد القراء السبعة المشهود لهم بالصدق والأمانة، أما أبرز المؤيدين لصحة مرويات حمّاد الراوية وتوثيقها من غير أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، فهم : الهيثم من عدي (ت٢٠٧هـ)، وأبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت٢١٥هـ)، وأبو الطيب اللغوي (ت٢٥١هـ) وهم بصريون باستثناء الهيثم بن عدي فهو كوفي، وابن الشجري (ت٥٤٢هـ) فيما كانت آراء أبي حاتم السجستاني تتأرجحُ بين الرفضِ والتأييد، وسوف نناقش هذه المواقف والآراء كافة، لنصل عبر طريقها إلى الحقيقة التي يبحث عنها الجميع .

كان حمّادُ الراوية شاعرًا من الطبقة الوسطى ومن الشعراء المقلين، ومع ذلك لا يرقى شعره إلى مستوى الشعراء الفحول، فقد أكد ذلك أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري في قوله (٢٣) : (هذا الخليل بن أحمد، وحمّادٌ الراوية، والأصمعي، وخلفٌ، والأصمعي، وسائر من يقول الشعر من العلماء، ليس شعرهم بجيد من شعر زمانهم)، وهذا يعني أنَّ حمّادَ الراوية لا يستطيع أنْ ينظم قصيدة جيدة المستوى، فكيف به ينظم القصائد الغرِّ العصماء على غرار مستوى قصائد الشعراء الفحول وينحلها إياهم ؟ ألا ترى معي أنَّ ما قاله أبو أحمد العسكري يفندُ كلّ تلك المقولات ويبطلها، ويبرئُ حمّاد الراوية من تلك التهمة الساذجة الملصقة به زوراً وبهتاناً، التي لا تصمدُ أمام الحقيقة والمنطق، ومع ذلك فقد ضاع شعر حمّاد الراوية، ولم يحفظه الرواة، لضعفه وركاكته، ولأنَّهُ لا قيمة فنية له، لذا لم يصل إلينا منه سوى بضعة أبيات، منها هذه القطعة التي تعبر عن حالته المادية المتردية، التي وصل اليها في العصر العباسي، فقد ساقتهُ الحاجة، وعدم المقدرة على شراء جبة يلبسها، فأضطر إلى أنْ يمدح أحد الأشراف من رجال عصره من أجل أنْ يحصل على جبةٍ يسترُ بها بدنه من العراء، فقال (٢٤) :

إنّ لي حاجةً فرأيكَ فيها لكَ نفسي فدىً من الأوصابِ
وهي ليستْ مما يبلغهاغير.....ري لا يستطيعها في كتـــــابِ

غير أنِي أقولها حينَ ألقا.....كَ رويداً أسرُها في حجـــابِ

إلى أنْ يقول :

إنَّني عاشقٌ لجبتكَ الدكـــــــ....ناء عشقاً قدْ حالَ دونَ الشرابِ

فالبسنيها فدتكَ نفسي وأهلي أتباهى بها على الأصحـــــــابِ

ولكَ الله والأمانة أنْ أجـ.....ـعلها عمرها أميرَ ثيابـــــــــي

فالذي يريقُ ماءَ وجههُ، ويمدحُ رجلًا من أجل الحصول على جبةٍ يلبسها ليستر بها جسمه من العراء، هو رجلٌ، بائسٌ، فقيرٌ، معدمٌ، لا حول له ولا قوة، ولو كان وضّاعًا ونحالًا، لكانت له ثروة تكفيه شر الحاجة وسؤال الناس، وإراقة ماء الوجه، ولكن ذلك لم يحصل، فقد مات حمّاد الراوية فقيرًا مُعدمًا لا يملك شيئًا .

توفي حمّاد الراوية في سنة ١٥٥هـ (٢٥)، فيما قال أبو الفرج الأصفهاني : إنَّه توفي في سنة ١٥٦هـ (٢٦)، بعد أنْ عاش ثمانين سنة، ودُفن في ماسبذان بالقرب من قبر المهدي العباسي (٢٧) الذي رثاه مروان بن أبي حفصة في قوله :

وأكرمُ قبرٍ بعدَ قبرِ محمـــــدٍ نبي الهدى قبرٌ بماســـبذانِ

عجبتُ لكفٍّ هالتْ التربَ فوقهُ ضحًى كيفَ لم ترجعْ بغيرِ بنانِ

في هذا الرثاء مبالغة مفرطة لا يقبلها العقل ، فالمهدي العباسي ليس أفضل من آل بيت رسول الله، محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن أفضل من الخلفاء الراشدين، والصحابة والتابعين، رضوان الله عنهم أجمعين، فالمهدي رجلٌ حكم الدولة العباسية، مدة من الزمن، فحسب ليس أكثر، وإذا علمنا أنَّ مروان ابن أبي حفصة، كان منحرفاً عن العلويين، مظاهراً عليهم، و منحازاً للعباسيين، فضلاً عن كونهِ رجلاً ضعيف الدين، ومن أصحاب النفوس المريضة، والضمائر الميتة، فلا نعجب بعد ذلك من قوله هذا.

وحمّادُ الراوية هو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، فقد رثاهُ عددٌ من الشعراء بعد وفاته، منهم محمدُ بن كناسة، في قوله (٢٨) :

أبعدت من نومك الغرار فما جاورت حيثُ انتهى بك القدرُ

لو كان ينجي من الردى حذرٌ نجاك مما أصابكَ الحـــــــذرُ

يرحمُك اللهُ من أخٍ يا أبـــا القاسم ما في صفائه كـــــدرُ
فهكذا يفسدُ الزمانُ ويفنـى العلم منهُ ويدرسُ الأثـــــرُ

صنع حمّادُ الراوية كتابًا سماهُ أشعار العرب، جمع فيه كلَ ما كان يحفظُ من أشعار العرب ونقدها، والكتابُ كان قيد التداول بين الرواة والنقاد والعلماء، إذ كانت نسخةٌ منهُ عند أبي العباس ثعلب، دلَّت عليها روايته لقصيدة زهير بن أبي سلمى ذات المطلع :

فيمَ لحتَ ؟ إنَّ الصنا أنْ يفوتني برحبِ الفروجِ ذي محالٍ موثقُ

فقد قال محققُ الديوان : هذه القصيدة رواها ثعلبُ نقلاً عن كتاب حمّاد (٢٩) وكذلك كانت نسخة من الكتاب عند الراوية النسابة هشام بن محمد الكلبي حين أورد قصيدة لعامر بن الطفيل فقال: (٣٠) أصبتها في كتاب حمَّاد خلاف روايتنا .

وكذلك رآهُ أبو حاتم السجستاني ونقل منه، كما أشار إلى ذلك ابن الشجري (٣١)، لكنَّ المؤسف له حقاً هو ضياعُ هذا الكتاب وفقدانه، ولو قدر لهذا الكتابُ أنْ يصل إلينا، لوصلنا شعرٌ غزيرٌ، ونقد وفير ؛ ولحمّاد الراوية آراءٌ نقديةٌ كثيرةٌ مبثونة على صفحات المصادر القديمة، يعرفها العلماء الرواة والنقاد ويتداولونها، فقد نقل الرواةُ والنقادُ عن حمَّاد الراوية قوله (٣٢) : (أحسنُ الجاهلية تشبيهًا امرؤ القيس، وذو الرمة أحسنُ أهل الإسلام تشبيهًا) وقد أجمع العلماءُ البصريون والكوفيون على صحة ذلك، ولكن الشيء اللافت للنظر، هو أنّ محمد بن سلّام الجمحي ينقلُ رأي حمَّاد الراوية في طبقاته، ولا يعزوه لقائله، لعلةٍ في نفسه، فقال (٣٣) : (كان علماؤنا يقولون : أحسنُ الجاهلية تشبيهًا امرؤ القيس، وأحسنُ أهل الإسلام ذو الرمة) والعلماءُ هم في حقيقةِ الأمر، قالوا برأي حمّاد الراوية، ألا ترى أنّ محمد بن سلّام الجمحي يكابر، فهو لا يريد أنْ يقول الحقيقة، ولا يعترف بفضل حمّاد الراوية على الرواية والنقد، لمجرد أنَّ حمّاد الراوية هو رأس ما يسمى بمدرسة الكوفة، المنافسة لمدرسة البصرة، التي ينتمي اليها ابن سلام، كما قال حمّادُ الراوية (٣٤) : (كانت العربُ تعرضُ أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما ردوه كان مردوداً، فقدم عليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها :

هلْ ما علمتَ وما استودعتَ مكتومُ أمْ حبلها إنْ نأتكَ اليومَ مصرومُ

فقالوا : هذهِ سمطُ الدهر، ثم عاد اليهم في العام المقبل فأنشدهم :

طحا بكَ قلبٌ في الحسانِ طروبُ بُعيدَ الشبابِ عصر حانَ مشيبُ

فقالوا هاتان سمطا الدهر) والعلماء الرواة والنقاد يتفقون على صحة تلك الرواية، وحينما أراد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، معرفة أشعر شعراء عصر ما قبل الإسلام، بعث يحيى بن سُليم الى حمّاد الراوية يسألهُ عن أشعر الشعراء، فأجاب : ذلك الأعشى صناجتها (٣٥)، وقال عمرُ ابن شبة (٣٦) : (قال معاوية بن بكر الباهلي : قلتُ لحمّاد الراوية : بم تقدم النابغة ؟ قال باكتفائك بالبيتِ الواحدِ من شعره، لا بل بنصف بيت، لا بل ربع بيت مثل قوله :

حلفتُ فلمْ أتركْ لنفسكَ ريبةً وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ)

العلماء الرواة والنقاد من أهل البصرة والكوفة يؤكدون ذلك ويتفقون على صحته ؛ ولم يعترض على صحته أحد .

وقال حمّادُ الراوية (٣٧) : (نظر النابغة الذبياني الى لبيد بن ربيعة، وهو صبيٌّ مع أعمامه على باب النعمان بن المنذر، فسأل عنهُ فنسب إليه، فقال له : يا غلام إنَّ عينيك لعينا شاعر؛ أ تقرضُ من الشعر شيئاً ؟ قال : نعم ياعم، قال : فأنشدني شيئاً مما قلت، فأنشده قوله :

أ لم تربعْ على الدمنِ الخوالي

فقال لهُ : يا غلامُ أنت أشعرُ بني عامر، زدني يابني، فأنشده :

طللٌ لخولة بالرسيسِ قديمُ

فضرب بيديه الى جنبيه وقال : اذهب فأنت أشعرُ من قيس كلها) وما قالهُ حمّاد الراوية، يتفقُ مع مستوى شاعرية لبيد بن ربيعة، فهو من شعراء الطبقة الثالثة الجاهلية، عند أبي عبيدة، وابن سلَام .

وأما آراؤه النقدية فهيَ كثيرة، لا يخلو منها كتابُ نقدٍ، أو ديوان شاعر، أو كتب المجاميع الشعرية، مثل الحماسات والأمالي وغيرها .

٢- موارده الثقافية :

حمّادُ الراوية بعد أنْ وقع بين يديه كتابُ أشعار الأنصار واطلع عليه، استحلاه وحفظه، ومن هنا حدثت نقطة التحول الحاسمة في حياة حمّاد الراوية، فتحول مسار خط حياته من الصعلكة واللصوصية إلى حلقات العلم والأدب، ورواية الشعر ونقده، فحفظ القرآن الكريم من المصحف (٣٨)، فتكونت لديه ثقافة عالية، ومعرفة واسعة، حتى أصبح علمًا بارزًا بين علماء العربية في حقل رواية الأشعار والأخبار والنقد ، وقبل الشروع بمحاكمة حماد الراوية، لابدَّ من معرفة موارده الثقافية، وهي كما يأتي :

١- خروجه الى البادية، والتقائه برواة القبائل، ورواة الشعراء، وأولادهم وأحفادهم، فضلا عن الشعراء الذين كان يستقبلهم في الكوفة، فيسمع منهم، ويتبادلُ معهم رواية الأشعار، والأخبار والأيام، ويستمعُ الى آرائهم النقدية ويناقشهم فيها، فكان يحفظُ كلَّ ما كان يسمع ويدونُهُ على الرقوق والقراطيس لكي لا يضيع من بعده، فضلا عن أنّهُ كانت له حلقة درس مميزة في مسجد الكوفة ، وهي حلقة درس مشهورة، كان لها مريدون كثيرون، كما كان يعقدُ مجلساً خاصاً في بيته يحضره عدد من علماء اللغة، والأدب، والنقد، والأنساب، وبعض الأعراب الوافدين الى الكوفة، فيستنشدهم ما يحفظون من الشعر، ويدونه في رقوق وقراطيس (٣٩) .

٢- كلُّ ما كان يحفظه حمّاد الراوية، ويرويه كان مدوناً عنده في رقوقٍ وقراطيسٍ، وذلك خوفاً عليه من الضياع والنسيان، ومن هنا نفهم أنَّ حمّاد الراوية كانت لديه مكتبةٌ عامرةٌ، فالوليد ابن يزيد بن عبدالملك، حينما أراد جمع أشعار العرب، وأخبارها، وأنسابها، ولغاتها في ديوانٍ موحدٍ، استعار من حمّاد الراوية ما كان بحوزته من الرقوق والقراطيس، فنسخها ودونها عنده، ومن ثمَ أعادها اليه (٤٠)، وهذا يعني أنَّ مكتبة حمّاد الراوية كانت عامرةٌ بكتب الشعر ونقده ؛ ومعروفةٌ عند الخلفاء والولاة، فضلا عن العلماء والنقاد والرواة .

٣- كانت لدى حمّاد الراوية، مكتبةٌ عامرةٌ بكتبِ الأدبِ من شعرٍ ونقدٍ، ولاسيما أشعار القبائل، وكتب الأنساب، وأيام العرب، ولغاتها، فقد قال حمّادُ الراوية (٤١) : (أرسل الوليد بن يزيد إلي بمائتي دينار، وأمر يوسف بن عمر بحملي إليه على البريد، قال : فقلتُ:

لا يسألني إلا عن طرفيه قريش وثقيف ((أعمامه وأخواله)) فنظرتُ في كتابِ قريشٍ وثقيفٍ، فلما قدمتُ عليه سألني عن أشعار بلي، فأنشدته منها ما استحسنه)، وهذا يؤكدُ بما لا يقبلُ الشك، أنَّ دواوين القبائل، كانت ضمن موجودات مكتبته .

٤- مناظراته الأدبية والثقافية في حلقات الدرس المختلفة، مع علماء عصره ورواته، فهو يتبادل معهم الرواية، والأخبار، والآراء النقدية، فيأخذ منهم ويعطيهم، فضلاً عن علاقاته الجيدة، والوطيدة مع زعيم مدرسة البصرة العالم الراوية، أبي عمرو بن العلاء، الذي قال عن حمّاد الراوية (٤٢) : (ما سمع حمّادُ الراوية حرفًا إلا سمعته) وهذه شهادة رجل من أهلها، كما كانت له علاقة جيدة مع المفضل الضبّي، وخلف الأحمر، والأصمعي، وأبي نؤاس وغيرهم، سيطلع عليها القارئ الكريم في أثناء البحث، فضلاً عن زياراته المتكررة والمتواصلة لمدينة البصرة، والتقائه بعلمائها وأعلامها من الولاة والرواة والنقاد، ولاسيما أبا عمرو بن العلاء، وخلف الأحمر، وبلال بن أبي بردة المهلبي والي البصرة في عصره .

المبحث الثاني : محاكمة حمَّاد الراوية :

سأحلل في هذا المبحث النصوص وفقاً لقدمها ؛ وسبق صاحبها في الوفاة، إذ سأكتبُ النصَّ أولاً، وبعد ذلك أقومُ بدراسته وتحليله، ومن ثمَّ اصدار الحكم بشأنه، علمًا أنَّ تسمية خصوم حمَّاد الراوية، هي تسميةٌ مجازيةٌ، وليست بالضرورة أن تكون خصومة حقيقية .

خصوم حمّاد الراوية :

أولاً –المفضل الضبّي (ت١٦٨هـ) :

الخلافُ بين حمّاد الراوية، والمفضل الضبّي، كما أرى هو خلاف وهمي، وهو من صناعة تلامذة المفضل الضبّي، فقد قال الدكتور ناصر الدين الأسد (٤٣) : (إنَّ ما بين المفضل، وحمَّاد يمثلُ منافسة شديدة، ربما بلغت حدَّ الخصومة والاتهام)، وأضاف الدكتور ناصر الدين الأسد (٤٤) : (إنَّ تلاميذ المفضل، استغلوا هذه المنافسة، فراحوا يتهمون حمّادًا ويقوون من مكانة المفضل، تقوية لمكانتهم) ذلك لأنَّ حمّاد الراوية، كان متفوقًا على استاذهم المفضل الضبّي بكثرة حفظه وآرائه النقدية وأخباره، مما جعل تلامذة المفضل الضبّي، يحسدونه على تلك المكانة العلمية الكبيرة، وقد أرجع الدكتور ناصر الدين الأسد المنافسة بينهما إلى عاملين هما :

١- اختلاف حظيهما من المعرفة (٤٥) .

٢- اختلاف ميولهما السياسية (٤٦) .

يعرف الجميع أنَّ حمّاد الراوية، كان متفوقًا على المفضل الضبّي، بقوة حافظته، وسرعة بديهته، واسترجاعه لما كان مخزونًا في ذاكرته، فضلًا عمّا يتميزُ به من فكرٍ نقديٍ ثاقبٍ، والمفضل بكل حالاته كان لا يجاري حمّاد الراوية في هذا المضمار، أما اختلاف الميول السياسية والعقائدية، فقد كان حمّاد الراوية أموي الهوى، ومقربًا من مجالس الخلفاء الأمويين وأمرائهم وولاتهم، في حين لم يكن للمفضل الضبّي حظًا في تلك المجالس، وذلك لأنَّ المفضل الضبّي كان على المذهب الزيدي، فضلاً عن كونه من أتباع محمد ذي النفس الزكية، وأخيه إبراهيم ومناصرًا لهما ، وقد خرج مع ابراهيم في سنة ١٤٥هـ في ثورته على المنصور، وبعد مقتل ابراهيم، وقع المفضل الضبّي أسيرًا في قبضة المنصور العباسي، فعفا عنه، واتخذه مؤدبًا لأولاده، بعد أنْ تشفع له بعض

الحاضرين في مجلس المنصور، أما حمّاد الراوية، فبعد العزّ والدلال الأموي، أصبح مجفوًا عند العباسيين، بعيدًا من مجالسهم، خائفًا على نفسه، يترقب الأحداث، الى أنْ مات رحمه الله .

أ- قال أبو الفرج الأصفهاني (٤٧) : (ذكر الرواة أنَّهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيسباد، وقد جمعَ إليه الرواة العلماء بأيام العرب، وأشعارها، وأدبها، ولغاتها، وبينهم المفضل الضبّي وحمّاد الراوية، ثم خرجا من عند المهدي، وقد بانَ الانكسارُ والغمُ في وجه حمّاد الراوية، وفي وجه المفضل الضبّي السرور والنشاط، ثم خرج حاجبُ الخليفة المسمى حُسين الخادم فنادى قائلًا : يا معشر من حضر من أهل العلم، أنَّ أمير المؤمنين يعلمكم، أنَّهُ وصل حمّاد الشاعر بعشرين الف درهم لجودةِ شعره، وأبطلَ روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته، ولما سألناه عن السبب، قيل : إنَّ المهدي، قال للمفضل : إنّي رأيتُ زهير بن أبي سلمى افتتحَ قصيدته بقوله :

دعْ ذا وعد القولَ في هرمٍ خيرِ الكهولِ وسيد الحضرِ

فقال المفضل : ما سمعتُ أمير المؤمنين في هذا شيئًا، إلا أنّي أتوهمهُ، كان يفكرُ في قولٍ يقوله، فعدلَ عنهُ إلى مدحِ هرمٍ، وسأل حمّاد السؤال نفسه، فقال حمّاد : ليس هكذا قال زهير، قال : وكيف ؟ فقال حمّاد : قال :

لمنْ الديارُ بقنا الحجـــرِ أقوينَ مذْ حججٍ ومنْ شـــهرِ
لعبَ الرياحُ بها وغيرهـــا بعدي سوافي المورِ والقطـــرِ
قفراً بمندفع النحائتِ منْ ضغوى أولاتِ الضالِ والسدرِ
دعْ ذا وعد القولَ في هرمٍ خيرِ الكهولِ وسـيد الحضـــرِ

فأطرق المهدي ساعة، ثم استحلف حمّاد بأغلظ الإيمان، فأقرَ حمّاد أنَّهُ وضعها على زهير) .

تحليل النص والحكم عليه

النصُّ موضوعٌ ولاشك في ذلك ؛ للأسباب الآتية :

١- حينما يفدُ حمّاد الراوية على الخلفاء والأمراء والولاة، كان يفدُ اليهم بصفتهِ راويةً للشعر، وليس شاعراً، لأنَّ شعره كما قلنا، لا يرقى إلى مستوى الشعراء الفحول، والرواية تقولُ : إنَّهُ شاعرٌ جيدُ الشعرِ، ثم أنَّ الحكمَ الذي أصدره المهدي على حمّاد الراوية، كان يخصُ الرواية، فكيف تحول الأمر من الشعر إلى الرواية، ولم توضح الرواية هل وفد حمّاد الى المهدي بصفته شاعرًا أمْ راويةً ؟ وهذا التناقض في الخبر ينقضُ الرواية ويبطلها .

٢- لماذا كان العلماءُ، والرواة في باب مجلس المهدي، ولم يكونوا في داخل المجلس ؟ علما أنّ الرواية في مطلعها قالت : إنَّهم كانوا في دار أمير المؤمنين، هل أخرجوا من المجلس ؟ ولماذا لم يكونوا داخل المجلس ليسمعوا بشكل مباشر من الخليفة نفسه، وليس من الخادم ؟ ليكونوا شهودَ عيانٍ واثباتٍ على الواقعة، ولكنَّ ذلك لم يحصلْ، وهذه النقطة تدحضُ الرواية، وتفسدُ خبرها .

٣- لم تذكر الرواية لنا من هم الرواة الذين سمعوا الخبر وذكروه ؟ أليستْ لهم أسماءٌ ؟ فمن هم ؟

٤- من هم العلماء الرواة، بأيامِ العربِ، وأشعارها، وأدبها، ولغاتها، الذين حضروا في قصر المهدي، ولماذا أغفلت أسماؤهم ولم تذكر ؟

٥- إنَّ المصادر كافة ، تؤكد أنَّ حمّاد الراوية توفيَ قبل أنْ يتولى المهدي الخلافة .

٦ - إنَّ الخليفة المهدي بنى قصره في عيسباد سنة ١٦٤هـ في حين أنَّ حمّاد الرواية قد توفي على أضعف الروايات سنة ١٥٨هـ (٤٨).

٧- لم يتصل حمّادُ الراوية بخلفاء بني العباس وأمرائهم، لأنَّهُ كان يخشى على نفسه، وذلك لأنَّهُ كان أمويُ الهوى، وقد علقَ حمّادُ الراوية على ذلك قائلًا : (إنَّ أيام دولتنا قد مضت) وذلك حينما دُعي الى حضور مجلس جعفر بن المنصور .

٨ – إنّ القصيدة العربية الناضجة، المستوفية لتقاليدها وشروطها، تبدأ بمقدمة، وفقاً لما روى حمّاد الراوية، وليس بجسر لفظي، وأداة حسن تخلص، كما روى المفضل الضبّي، لأنَّ أداة حسن التخلص والجسر اللفظي يمثلان رابطاً بين طرفي القصيدة، المقدمة والغرض، وقد بدأ الجسر اللفظي عند زهيرٍ بأداة حسن التخلص التقليدية، (دع ذا) وهذه الأدوات لايجوز الإبتداءُ بها، لأنَّها تعدُ من العيوب والمآخذ التي يسجلها النقاد والرواة على الشعراء، والمفضل الضبّي أعلمُ بذلك من غيره، لأنَّهُ من كبار رواة الشعر العربي الثقات ونقده في العصر العباسي (٤٩).

٩– القصيدةُ موجودةٌ في ديوان زهير بن أبي سلمى، كما رواها حمّادُ الراوية، وقد وثقها الراوية الأعلم الشنتمري وشرحها (٥٠) .

١٠– القصيدةُ موثقةٌ في مختارات أشعار العرب لابن الشجري، كما رواها حمّادُ الراوية، وقد شرحها أبو عمرو الشيباني، وكذلك رواها أبو عبيدة (٥١).

١١- القصيدةُ موثقةٌ في مختار الشعر الجاهلي، للأعلم الشنتمري، كما رواها حمّادُ الراوية (٥٢).

١٢- البيت الثاني رواهُ المرزوقي معزواً لزهير بن أبي سلمى (٥٣)، وهذا يعني أنّ المرزوقي يوثقُ صحة رواية حمّاد الراوية .

١٣- روى السيوطي في شرح شواهد المغني أمير المؤمنين هارون الرشيد بدلاً من المهدي (٥٤) .

١٤- علقَ الأستاذُ أحمد محمد شاكر المحقق الثبت في تحقيقهِ لكتابِ الشعر والشعراء، قائلًا (٥٥) : (هي قصةٌ ظاهرةُ الصنعةِ) والأستاذُ أحمد محمد شاكر من كبار أعلام النقد في الشعر العربي القديم، وقولهُ حجةٌ يعتدُ بها .

١٥- علقَ شيخ المؤرخين المؤرخُ الكبير الدكتور جواد علي على الخبر فقال (٥٦) : (القصةُ من وضع أعداء حمّاد عليه، أو من وضع المتعصبين للمفضل) ؛ وأضاف معلقًا على رواية السيوطي قائلاً (٥٧) : (القصةُ مصنوعةٌ لأنَّ حمّاداً مات سنة ١٥٦هـ وولاية الرشيد للخلافة كانت في سنة ١٧٠هـ) .

وخلاصة الأمر نقولُ بثقةٍ واطمئنانٍ : إنَّ الخبرَ موضوعٌ، ولا أساس له من الصحةِ، كان الهدفُ من صناعته، هو الإساءة لحمّاد الراوية لحساب المفضل الضبّي، على الرغم من إنَّ المفضلَ، لم تكنْ به حاجة إلى مثلِ هذه الرواية الساذجة والمتكلفة، لأنَّ المفضلَ يعدُ من أعلام الأدب العربي ونقده الثقات، ومن هنا تظهرُ براءة حمّاد الراوية من هذه التهمة المنسوبة اليه زورًا وبهتانًا .

ب– قال ابنُ الأعرابي (٥٨) : (قال المفضل الضبّي : قد سُلط على الشعرِ من حمّادِ الراوية ما أفسدهُ، فلا يصلحُ أبدًا، فقيلَ لهُ : وكيف ذلك ؟ أيخطئُ في روايته أم يلحن ؟ قال : ليتهُ كان كذلك، فأهلُ العلمِ يردون من أخطأ إلى الصوابِ، ولكنهُ رجلٌ عالمٌ بلغاتِ العربِ، وأشعارها، ومذاهب الشعراء ، ومعانيهم) .

تحليل النص والحكم عليه

هذا النصُ يصرخُ بوجه قارئه معلنًا إنَّهُ موضوعٌ مصنوعٌ، ذلك لأنَّهُ يتعارضُ مع قول يونس ابن حبيب الضبّي ويتقاطعُ معه، يونس يمثلُ أبرز أنصار المفضل الضبّي، فقد قال محمد بن سلّام الجمحي (٥٩) : (سمعتُ يونسَ يقول : العجبُ ممنْ يأخذُ من حمّادٍ، وكان يكذبُ ويلحنُ ويكسرُ)، ألم يقلْ المفضلُ عن حمّاد الراوية ؟ لكنَّهُ رجلٌ عالمٌ بلغاتِ العربِ، وأشعارها، فكيف إذاً يلحنُ ويكسرُ ؟ علماً أنَّ يونس بصري، وهو بعيدٌ عن حمّاد الراوية، والمفضل كوفي، ومجاور لحمّاد، فالعجبُ كلَّ العجبِ من أنَّ المفضلَ الضبّي القريبُ من حمّاد الراوية يؤكدُ قوة لغته، وسلامة لسانه من اللحن، والبعيدُ هو الذي يتهم ! ألا ترى معي أنَّهُ الحسدُ والبغضُ والكراهيةُ وليس غيرها ؟ ولم يتهمُ حمّاد الراوية، باللحن والكسر سوى يونس بن حبيب، أما ابن الأعرابي الذي حُشرَ اسمهُ في هذه الرواية، ذلك لكونهِ ربيبَ المفضل الضبّي، وتلميذه المدلل، والرجلُ على ما أرجحُ، ليس لهُ علمٌ أو درايةٌ، بهذه الرواية ؛ لأنَّهُ لم ينتقدْ حمّاد الراوية في كلِّ مروياته، ولم يتعرض له، ولم أجدُ لهُ موقفاً سلبياً من حمّاد الراوية في المصادر التي اطلعتُ عليها، لذلك لا يعدو وجود اسمه في هذه الرواية إلا مقحماً عليها، لعلَهُ يزيدُ من قوةِ التهمة، والرواية بالمحصلةِ النهائية الرواية موضوعةٌ، إذا علمنا أنَّ الخليفة المهدي العباسي حينما كان يريدُ أنْ يعرفَ شيئًا عن أسرة حمّاد الراوية، وأخبارها وأحوالها بعد وفاة حمّاد الراوية، لا يجدُ غير المفضل الضبّي ليسأله عنها (٦٠) ففي ذات مرة بايتَ المفضل الضبّي

المهدي، فلم يزلْ يحدثه وينشده، حتى جرى ذكر حمّاد الراوية، فقال المهدي : ما فعلَ عياله، ومن أين يعيشون ؟) – وهذا السؤالُ موجهٌ الى المفضلِ الضبّي – قال من ليلةٍ مثل هذه، كانت مع الوليد بن يزيد) ، وهذا السؤال وجوابه يدلُّ على التواصل والتراحم بين حمّاد الراوية والمفضل الضبّي، إذ كان المفضل يتفقد أحوال أسرة حمّاَد الراوية، وربما كان يجودُ ببعض المال عليها، وهذه من صفات العلماء وأخلاقهم والمفضل الضبّي منهم .

ثانياً– يونس بن حبيب الضبَي بالولاء (ت١٨٣هـ)

أرجحُ أنَّ عداء يونس بن حبيب الضبّي لحمّاد الراوية سببه هو العصبية القبلية، على الرغم من أنَّ كلا الرجلين من الموالي، لكنَّ يونسَ ضبّيٌ بالولاء، فهو يناصرُ المفضل الضبّي، فضلاً عن انتماء كل منهما إلى مدرسة تنافسُ الأخرى، ولم أجدُ لهذا العداء غير هذا التفسير .

١ – قال محمد بن سلّام الجمحي (٦١) : (أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قدِمَ حمّادُ البصرةَ على بلالِ بن أبي بردة، وهو والٍ عليها، فقال لهُ : أما أطرفتني شيئاً ؟ فأنشدهُ قصيدة الحطيئة في مدحِ أبي موسى الأشعري، فقال لهُ : ويحكَ أيمدحُ الحطيئة أبا موسى ولا أعلم، وأنا أروي شعر الحطيأة، ولكن دعها تذهبُ في الناس) .

تحليل النص والحكم عليه

النصُّ موضوعٌ وملفقٌ، والتكلفُ والسذاجةُ واضحةٌ في روايته ؛ إذْ كيفَ يصحُ أنْ يكونَ بلالُ بن أبي بردة راوية لشعرِ الحطيأةِ، ولا يعلمُ بقصيدةٍ مُدح بها جدَّهُ أبا موسى الأشعري ؟ وهي موجودة في ديوانه، ويتناقلها الرواة، فضلاً عن أنْ يسمحَ بلالٌ ويقبلُ بانتشارِ قصيدةٍ منحولةٍ، وهو من رواة الشعر الثقات، وفي أدناه ثبتٌ لصحةِ نسبةِ القصيدة الى الحطيأة :

١- القصيدةُ ثابتةُ النسبةِ للحطيأة في ديوانه بشرحِ ابن السكيت، وهي تحت تعليق (٦٢) : (وقال الحطيأةُ يمدحُ أبا موسى الأشعري، وهو عبدالله بن قيس، وكان قدم عليه، فعرضَ عليه أنْ يفرض له فأبى، ثم قدم فطلبَ الفريضة ولم يقدر عليها فقال :

هلْ تعرفُ الدارَ مذْ عامين أو عامِ داراً لهندٍ بجزعِ الخرجِ فالدامِ) .

٢- القصيدةُ ثابتةُ النسبةِ للحطيأةِ في ديوانه بشرحِ السُكري، مرويةً عن سلسلةِ الرواة محمد ابن حبيب عن ابن الأعرابي، وعن أبي عمرو الشيباني، وهي تحت تعليق (٦٣) : (وقال أيضا يمدحُ أبا موسى الأشعري، وكان الحطيأةُ دُعي الى أنْ يُكتب في من يغزو العراق مع أبي موسى، فلم يفعلْ، فلما كتب أبو موسى وفرغ من كتبته، أتاهُ الحطيأةُ يسأله أنْ يكتبه معه، فأخبره أنَّ العدةَ قد تمتْ، فقال :

هلْ تعرفُ الدارَ مذْ عامين أو عامِ داراً لهندٍ بجزعِ الخرجِ فالدامِ) .

٣- القصيدةُ وثقها الراوية العالم البصري أبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت٢١٥هـ)، وهو معاصرٌ لابن سلّام، قائلاً (٦٤) : (إنّ القصيدةَ صحيحةً لا ريبَ فيها، قالها فيه وقد جمعَ جيشاً للغزو) .

٤- استشهدتْ كتب المعاجم والأمالي وغيرها ببعضِ أبياتِ القصيدة، وهي كما يأتي :

أ- قال أبو علي القالي (٦٥) : أنشدني أبو بكر بن دريد للحطيأة :

مُستحقباتٌ رواياها جحافلها يسمو بها أشعريٌ طرفهُ سامي

والبيت هو الخامس عشر من القصيدة .

ب- البيتُ الخامس عشر مع بيتين أخلتْ بهما رواية الديوان في الحماسة البصرية (٦٦) .

ج- البيتُ الحادي عشر من القصيدة في معجمي اللسان والتاج في مادتي : (سلم، جدل) على التوالي (٦٧) .

د- البيتُ السابقُ في المعرب للجواليقي (٦٨)، والمزهر للسيوطي (٦٩) .

هـ – البيتُ الخامس عشر في اللسان، مادة : زلم (٧٠)، وفي الأغاني (٧١) .

و- البيتُ السادس عشر في اللسان، مادتي : زجر، زلم (٧٢) .

ز- الأبياتُ : ٨، ١١، ١٢، ١٥ من القصيدة في سمط اللاليء (٧٣) .

لذلك فالخبرُ مصنوعٌ وملفقٌ وعارٍ من الصحةِ ولا يصمدُ أمام الأدلة السالفة الذكر، والتي أبطلتْ الرواية وعدتها كاذبة ومفتراة .

٣- في خبر آخر، أنَّ حمّاد الراوية (٧٤) أنشدَ قصيدةً في مجلس بلال بن أبي بردة، والشاعر المعروف ذو الرمة حاضرٌ، ولما فرغَ حمّادٌ من انشادها، قال : ذو الرمة : أنَّها ليسْت لهُ، فقال بلالُ لحمّاد الراوية : أنتَ قلت ذلك الشعر ؟

قال : لا .

قال فمن يقوله ؟

قال : بعضُ شعراءِ الجاهلية، وهو شعرٌ قديمٌ ما يرويه غيري .

قال : فمن أينَ علمَ ذو الرمة أنَّهُ ليس من قولك ؟

قال : عرفَ كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام)

الخبرُ موضوعٌ ومرفوضٌ، ولا سبيل لقبوله للأسباب الآتية :

١- القصيدة التي أنشدها حمّاد الراوية، هي القصيدة السالفة الذكر ذات المطلع :

هلْ تعرفُ الدارَ مذْ عامين أو عامِ داراً لهندٍ بجزعِ الخرجِ فالدامِ

وكان على راوي الخبر أنْ يذكر القصيدة ليحكم الدارسون والمستمعون على صحتها، أليسَ من حقهم معرفة القصيدة، ليقبلوا بصحة الراوية أو يرفضونها ؟

٢- من هو الراوية الذي نقل خبرالقصيدة ؟ والمعروف أنَّ حمّادَ الراوية، كان يوثق رواياته من طريق ذكرِ أسماءِ رواة الشعر، كما رأيتَ في هذا المبحث .

٣- لما كانت القصيدة لشاعرٍ جاهليٍ قديمٍ، فمن هو ؟ وكيف لا يعرفها الرواة الآخرون ؟ وكيف وصلتْ منفردةً الى حمّاد الراوية ، دون غيره من الرواة ؟ ألم تأخذ القصيدة طريقها عبر سلسلة رواية حتى وصلتْ الى حمّاد الراوية، فمن هم الرواة الذين رووها قبل حمّاد ؟ ولما كانت الرواية بدون سند، فهي قطعًا روايةً كاذبةً، مدسوسةً لا أساسَ لها من الصحةِ، ولا يمكن قبولها .

٤- الشاعرُ ذو الرمة هو ممن يوثقون روايات حمّاد الراوية، وتربطه به علاقة متينة، لاحظ ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب، لذا فقد أقحم اسمه على الرواية، وهو بريءٌ منها .

٥- والخبرُ الصحيح هو ما رواه أبو الفرج الأصفهاني (٧٥) : (قال حمّاد الراوية : دخل علينا ذو الرمّة الكوفة فلم نرَ أحسنَ، ولا أفصحَ، ولا أعلمَ بغريبٍ منه، فغمَّ ذلك كثيراً من المدينة، فصنعوا له أبياتاً، وأنشدوه إياها مدعين أنها لبعض الجاهليين، فاستعادها ذو الرمّة ؛ ثم قال: ما أحسبُ أنَّ هذا من كلامِ العربِ) هذهِ هيَ الرواية الصحيحة التي حُرفتْ عن مسارِها الصحيح، والهدفُ منها الإساءة لذي الرمّة وحمّاد الراوية معاً، وهي مجردُ إفتراء محضٍ على رجلينِ لا علم لهما بها .

وخلاصةُ الحكم على الرواية، أنَّها روايةٌ كاذبةٌ ومفتراةٌ ، ولا سبيلَ الى قبولها تحتَ أيةِ ذريعةٍ مهما كانت، بعد أنْ وقفنا على الرواية الصحيحة .

ثالثاً – أبو سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦هـ)

وهو من رواةِ مدرسةِ البصرة الثقات، وكبار علمائها ونقادها

أ- روى أبو حاتم السجستاني عن الأصمعي قوله (٧٦) : (جالستُ حمّادَ فلم أجدُ عندهُ ثلاث مائة حرفٍ، ولم أرضَ روايته) ؛ ثم عاد أبو حاتم ليروي لنا خبراً ينقضُ به الخبر الأول، ويدحضهُ تمامًا، وفيه الأصمعيُ يقولُ (٧٧) : (كلَّ شيءٍ في أيدينا من شعرِ امرئ القيس، فهو عن حمّاد، إلا نتفًا سمعتُها عن الأعرابِ، وأبي عمرو بن العلاء) .

تحليل النصين والحكم عليهما

النصّان السابقان ليسا بهما حاجة إلى كثير معرفة، واعمالِ فكرٍ، الثاني ينقضُ الأول ويدحضهُ، لذلك أرجحُ أنَّ الأولَ موضوعٌ، ولم يصدر عن الأصمعي، لأنَّهُ لو صحَ ذلك، فكيف يروي الأصمعيُ شعرَ امرئ القيس عن حمّاد الراوية ؟ أنَّ النصّين يجعلان من أبي حاتم السجستاني راويةً متقلبًا، لا يستقرُ على رأي ويضعفُ من مكانته بين الرواة، وهو من الراوة الثقات، والراجحُ عندي أنَّ الأولَ مصنوعٌ، والهدفُ منهُ دعم الآراء التي ترمي حمّاد االراوية بالكذب والنحل واللحن والوضع .

ب- قال الأصمعي (٧٨) : (حمّادُ أعلمُ الناسِ إذا نصح) قولٌ جميلٌ يوثقُ صحةَ مروياتِ حمّاد، وهذا هو الواقعُ والمنطقُ، ولكنّ الرواية انحرفتْ عن مسارِها الصحيح بتقادم الزمن، وألحقتْ بها

زيادة شوهتها، والرواية المحرفة رويتْ عن ياقوت الحموي بعد أكثرِ من أربعمائة عام على وفاة الأصمعي ؛ إذ إنَّ ياقوتَ الحموي توفي سنة ٦٢٦هـ وهي (٧٩) :(حمّادُ أعلمُ الناس إذا نصح، وإذا لم يزدْ ولم ينقصْ في الأشعار لأنَّهُ كان متهمًا) .

تحليلُ النصّ والحكمُ عليه

قولُ الأصمعيُ (إنَّ حمّادَ أعلمُ الناس إذا نصح)، يقصدُ منه إذا نصحَ لمن يأخذُ عنه، وسمحتْ نفسه في إعطائه وتعليمه، ذلك لأنَّ حمّادَ الراوية كان مشهورًا عنهُ، أنّهُ ضنينٌ برواية الشعر وانشاده، فهو يحترمُ الشعرَ، ولا ينشده إلا في مكانٍ يليقُ به وبأهله، وأما ما أضافتهُ الرواية المحرفة، فهو لم يردْ في أيّ مصدرٍ من مصادرِ الأدب العربي الأخرى، وعليه كيف وصل النصُّ إلى ياقوت الحموي بهذه الرواية، وهو البعيدُ من الأصمعي زمانًا ومكانًا بأكثرِ من أربعةِ قرونٍ ؟ فضلاً عن ذلك، نجد أنَّ ياقوت يروي ما نصه (٨٠)، (إنَّ خلفَ الأحمر أول من أحدثَ السماعَ بالبصرة، وذلك بعد أنْ جاءَ إلى حمّاد الراوية، فسمعَ عنه) ألا ترى معي أنَّ ياقوتَ الحموي يوثقُ روايات حمّاد ويؤكدُ صحتها ؟ وهذا يؤكدُ أنَّ الإضافةَ على الرواية كانت مصنوعةٌ موضوعةٌ، ولا سبيل إلى قبولها، وهي مفتراةٌ على ياقوت الحموي، وهو منها براء .

رابعاً – أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢٠٩هـ) وهو من رواة الشعر العربي، ومن مدرسة البصرة ؛ إذْ كان يروي عن يونس بن حبيب، خصم حمّاد اللدود، فقد ذكرَ أبو الفرج الأصفهاني أنَّ أبا عبيدة قال (٨١) : (قال خلفُ الأحمرِ : كنتُ آخذ من حمّاد الراوية الصحيح من أشعار العرب، وأعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني، ويدخلهُ في أشعارِ العربِ، وكان فيهِ حمقٌ) .

تحليل النص ومحاكمته

خلفُ الأحمر هو أولُ من أحدثَ السماع في البصرة بعد زيارته الكوفة ولقائه بحمّاد الراوية، وهذا يدلُّ على أنَّ خلفَ الأحمر كان معجبًا بحمّاد الراوية وطريقة روايته الشعر، وإلا كيف أخذها عنه، ونقلها إلى البصرة، إنْ لم تكن جيدة وصحيحة ؟ ثم أنَّ حمّاد الراوية، هو العالمُ بأشعار العرب، كما أكدَ المفضلُ الضبّي ذلك، فكيف يعقلُ أنَّهُ كان يقبل الشعر المنحول ويرويه، ثم من أينَ جاءهُ الحمق، وهو على درجةٍ عاليةٍ من العلمِ والعقلِ والدرايةِ ؟

وبذلك تكون هذه الرواية شأنها شأنُ الروايات الأخرى، مندرجة تحت صنف الروايات المصنوعة والموضوعة .

خامساً : محمد بن سلاّم الجمحي (ت٢٣١هـ)

محمد بن سلاّم الجمحي من كبارِ رواةِ مدرسةِ البصرة ونقادها ؛ خدم الأدب العربي ونقده كثيراً وترك لنا أثراً مهماً يتمثل بكتابه المشهور ((طبقات فحول الشعراء)) إلا أنَّ ما يعاب على محمد بن سلاّم هو انحيازه المفرط، وغير المسوغ لمدرسةِ البصرة، ولو على حسابِ تحريف الحقيقة، وهذا ما سنلمسهُ في هذه الفقرة الخاصة به، فمن فرطِ انحيازه لمدرسة البصرة كان كثيرَ التحاملِ على حمّاد الرواية محاولًا تشويه سمعته بشتى الوسائل والطرق أ فقد كان محمدُ بن سلاّم أشد الرواة بُغضًا وكراهيةً لحمّاد الراوية، فهو يحاول أنْ يظهرَ بمظهرِ الناقلِ وليسَ القائلِ، فيتخفى وراء قناع غيرهِ من الرواةِ، فهو في الحقيقةِ يقول القولَ وينسبه الى غيره، ليعطي روايته قوةً وقبولًا عند القراء والدراسين، ولكنَّ عملهُ هذا جعلهُ راويةً غير ثقةٍ عبر افتضاحِ اخباره وتكذيبها من العلماءِ الآخرين، على الرغمِ من كونه ناقدًا مشهورًا و كبيرًا، والآن لنقف على ما بين حمّاد الراوية ومحمد ابن سلاّم الجمحي :

أ – قال محمدُ بن سلاّم الجمحي (٨٢) : (كان أولُ من جمعَ أشعارَ العربِ، وساقَ الأحاديثَ حمّاد الراوية، وكان غير موثوقٍ، وكان ينحلُ شعرَ الرجلِ غيره ويزيدُ في الأشعارِ).

تحليل النص وتوثيقه :

حينما نتأملُ روايةَ ابن سلاّم ؛ سنعجبُ منها فهي روايةٌ متناقضةٌ ؛ فالشطرُ الأولِ منها صحيحٌ مائة بالمائةِ ولا غبارَ عليه، وهو كلمةُ حقٍّ يُرادُ بها باطلٍ، ومحمد بن سلاّم الجمحي لا يريد أنْ يمر الأمرُ مرورَ الكرام، من غيرِ أنْ ينتقصَ من حمّاد الراوية، ويقدحُ عليه، فأضافَ الشطر الثاني على الرواية، وهو بذلك يدسُّ السمَّ بالعسلِ، وما قال به محمد بن سلاّم الجمحي، لا يمكن التسليم بصحتهِ ، لأنّ أبا أحمد الحسن بن عبدالله العسكرى، قال ما نصه (٨٣) : (لم يكنْ نقادُنا يحسنون قولَ الشعرِ، كالخليلِ ابن أحمد ؛ وحمَّاد الراوية؛ والأصمعي)، وقال أيضاً (٨٤) : (الخليل بن أحمد، وحمّاد الراوية، وخلف، والأصمعي

وسائر من يقول الشعر من العلماء ليس شعرهم بالجيد)، وحمّاد الراوية شاعرٌ من شعراء الطبقة الوسط – كما أشرنا الى ذلك – الذين لا يرقى شعرهم إلى مستوى الشعراء الفحول، فكيف إذاً يقول الشعر الجيد، وينسبهُ لغيره من الشعراء الفحول وهو أعجز من ذلك، ألا ترى أنَّ ما قاله ابن سلّام هو مجردُ افتراءٍ محضٍ لا غير ؛ علمًا أنَّ حمّاد الراوية حينما يروي القصائد، يذكر أسباب نظمها، والأحداث التي رافقت انشادها، في مسعىً يظهرُ فيه وثاقةَ روايته .

ب – قال محمد بن سلّام الجمحي (٨٥) : (كان علماؤنا يقولون : أحسنُ الجاهليةِ تشبيهًا امرؤ القيسِ، وأحسنُ أهلِ الإسلامِ ذو الرمةِ) .

تحليلُ النصّ وتوثيقه :

العلماءُ والرواةُ فعلاً كانوا يقولون بهذا الرأي ؛ والسؤال المطروح هو : لمن هذا الرأيُ ومن هو قائله ؟ العلماءُ والرواةُ يجمعون على أنَّ هذا الرأي هو لحمّاد الرواية فقد قال (٨٦): (أحسنُ الجاهليةِ تشبيهًا امرؤ القيسِ، وأحسنُ أهلِ الإسلامِ ذو الرمةِ)، والعلماءُ والرواة يعترفون صراحة أنَّ هذا القولَ والرأيَ هو لحمّاد الراوية، ويوثقونه ويأخذون به، ألا ترى معي أنَّ محمدَ بن سلّام الجمحي يريدُ تعميةَ الحقيقةِ وإخفاءِها عن القراءِ والدارسين، ولا يريدُ أنْ يقولَ الحقيقةَ ليطلع عليها الدارسون، لأنَّ صاحبَ الرأي هو خصمهُ اللدود حمّاد الراوية، وكذلك لا يريدُ أنْ يعترفَ بفضلِ حمّاد الراوية على الروايةِ والنقدِ، لأنَّ حمّاد الراوية هو رأس ما يسمى بمدرسةِ الكوفة، المنافسة لمدرسة البصرة على زعامة الرواية والشعر والنقد .

ت – حرصَ ملوكُ الحيرةِ على حفظِ أشعار العرب وتدوينها، فقد روى حمّاد الراوية قائلاً(٨٧) : (أمرَ النعمانُ فنسختْ له أشعارَ العربِ في طنوجٍ ثم دفنها في قصرهِ الأبيض، ولما كانَ المختارُ بن أبي عبيد الثقفي، قيلَ لهُ : إنَّ تحتَ القصرِ الأبيضِ كنزاً فاحتفرهُ فأخرج تلك الأشعار) .

تحليلُ النصِّ وتوثيقه :

أيدَ صحة هذه الرواية محمد ابن سلّام الجمحي نفسه من حيث يدري ولا يدري فقال (٨٨) : (كان عندَ النعمان بن المنذر منه ديوانٌ فيه أشعارَ الفحولِ وما مُدِحَ بهِ هو وأهل بيته ؛ صار ذلك الى بني مروان ؛ أو صار منه) ، وقولُ ابن سلّام فيهِ إشارة خفية الى قيام الخليفة الأموي الوليد بن يزيد الأموي المرواني استعارته من حمّاد الراوية القراطيسَ والرقوقَ التي دون عليها الشعر الجاهلي، ومن ضمنِها ما كان بحوزةِ النعمان ابن المنذر ؛ المدفون تحت القصر الأبيض .

ث – قال محمد بن سلّام الجمحي (٨٩) : (أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قدم حمّاد البصرة على بلالِ بن أبي بردة، وهو والٍ عليها، فقال له : أما أطرفتني شيئا ؟ فأنشدهُ قصيدة الحطأئة في مدحِ أبي موسى الأشعري، فقال لهُ : ويحك أيمدحُ الحطيئة أبا موسى ولا أعلم، وأنا أروي شعرَ الحطيأة، ولكنْ دعها تذهبُ في الناسِ) .

تحليلُ النصّ ومحاكمته :

النصُّ موضوعٌ ومفترى، ومن صناعةِ ابن سلّام، ومن بناتِ أفكارهِ المريضةِ، فالتكلفُ والسذاجةُ واضحةٌ في روايته، إذْ كيفَ يصحُ أنْ يكونَ بلالُ بن أبي بردة راويةً لشعر الحطيأة، ولا يعلمُ بقصيدةٍ مُدِحَ بها جدَّهُ أبا موسى الأشعري ؟ وهي موجودةٌ في ديوانهِ، ويتناقلها الرواة، فضلاً عن أنْ يسمح بلالٌ بن أبي بردة ؛ ويقبلُ بانتشارِ قصيدةِ منحولةٍ إنْ كانتْ منحولة، وهو من رواة الشعر الثقات، علمًا أنّي فصلتُ القولَ تفصيلاً دقيقاً في هذه الحادثة أرجو الاطلاع عليها في موضعها (٩٠) .

جـ : قال ابن سلام (٩١) : (أخبرني أبو عبيدة عن عمر بن سعيد بن وهب الثقفي : كان حمّادُ لي صديقًا ملطفًا ؛ فعرض علي يومًا ؛ فقلت له : املي عليَ قصيدة لأخوالي بني سعد بن مالك لطرفة بن العبد ؛ فأملي عليَ :

إنَّ الخليطَ أجدَّ منتقلُـــــــهْ ولذاك زُمَتْ غُدوةٌ إبلـــهْ

عهدي بهم في النقب قد سندوا تهدي الصعاب مطيهم ذُلُلُهْ

وهي لأعشى همدان) .

تحليلُ النصّ :

الخبر موضوع، وهو صناعةٌ جُمحية ؛ والبيتان ضعيفان تبدو عليهما الركة ؛ وهما مصنوعان لخدمة هذه الرواية فقد قال المحققُ الثبت محمود محمد شاكر في هامشِ طبقاتِ فحولة الشعراء (٩٢)، لم أعرفْ عمر بن سعيد بن وهب، ولا أعرف من أخواله من بني سعد بن مالك، وقال السيوطي في المزهر : عمرو بن سعيد والبيتان في ديوان طرفة بن العبد، وديون اعشى همدان، وعند العودة الى ديواني الشاعرين لم اقف على البيتين (٩٣)، فمن هو النحالُ المنتحل حمّاد الراوية أم محمد بن سلام الجمحي ؟ لك الحكم على ذلك عزيزي القارئ .

سادساً : ابن عبد ربه الأند لسي (ت ٣٢٨ هـ)

ثُمَّ آلَ الدورُ الى ابن عبدربه الأندلسي الذي جعلَ من نفسهِ خصمًالحمّاد الراوية من دون تبصرٍ ولا رَوِيةٍ، ليدلي بدلوه في دائرة الاتهام ليقدحَ على نفسه نارًا، هو ليسَ به حاجة لها، وذلك حينما افترى على حمّاد الراوية خبراً مفادهُ (٩٤) : (قال حمّاد : ما من شاعرٍ إلا زدتُ في شعرهِ أبياتًا إلا الأعشى، أعشى بكر فإنّي لم أزدْ في شعرهِ غير بيتٍ، فأفسدتُ عليه شعره، قيلَ لهُ : وما البيتُ الذي أدخلتهُ في شعرِ الأعشى، فقال:

وأنكرتني وما كانَ الذي نكرتْ من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلعا) .

تحليلُ النصِّ والحكمُ عليه :

المشهور عند العلماءِ والرواةِ والنقادِ والشعراءِ، أنَّ الذي زادَ هذا البيت، هو العالمُ الراوية أبو عمرو بن العلاء، وليسَ حمّاد الراوية، إذْ اعترف أبو عمرو بن العلاء نفسه بذلك فقال : أنا قلت (٩٥) :

وأنكرتني وما كانَ الذي نكرتْ من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلعا

والاعترافُ سيدُ الأدلة كما يقولون، وهذهِ شهادةُ تلامذةِ أبي عمرو بن العلاء مدرجة في أدناه ؛ تؤكد أنَّ أبا عمرو بن العلاء هو من صنع البيت، وليس حمّاد الراوية، ليطلع عليها القراء الكرام :

١- قال أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي تلميذ أبي عمرو (٩٦) : (إنَّ بشارَ أعلمُ الناس بالشعرِ، وألفاظِ العرب، قال لي وقد أنشدني أولَ هذهِ القصيدة للأعشى، فمر هذا البيت :

وأنكرتني وما كانَ الذي نكرتْ من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلعا

كأنَّ هذا ليسَ من لفظِ الأعشى، وكان قولهُ هذا قبل أنْ أسمعَ هذا من قبل أبي عمرو بعشرين سنةً) .

٢-قال يونسُ بن حبيب التلميذ الآخر لأبي عمرو (٩٧) : (سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقولُ : ما زدتُ في أشعارِ العرب إلا هذا البيت :

وأنكرتني وما كانَ الذي نكرتْ من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلعا

ثم زاد قائلاً : واللهِ ما كذبتُ قط في شيءٍ إلا في هذا البيتِ، ولو سئلتُ عنهُ لصدقت، وكان المفضلُ الضبّي حاضرًا في المجلس فقال لأبي عمرو : قد كنتُ أسمعُ بهذا البيتِ في القصيدةِ، ولكنَّكَ الصادقُ البرُّ، كثرَ اللهُ في أهلِ العلمِ مثلك)، ويونس بن حبيب، هو الخصمُ اللدودِ لحمّاد الراوية، ولو كان حمّادُ الراوية هو القائل، ما تركها تمرُ بسلام، إلا طبلَ لها وزمر ولكن ....

٣- قال ابن جني (٩٨) : (حدثنا بعضُ أصحابنا، قال : قال أبو عمرو بن العلاء (رحمهُ الله) ما زدتُ في شعرِ العربِ إلا بيتًا واحدًا هو :

وأنكرتني وما كانَ الذي نكرتْ من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلعا

٤- قال ابن خالويه (٩٩) : (حدثنا ابن مجاهد وغير واحدٍ أنَّ أبا عمرو بن العلاء قال : ما زدتُ في شعرِ العربِ إلا بيتًا واحدًا في قوله للأعشى :

وأنكرتني وما كانَ الذي نكرتْ من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلعا

وما قرأتُ حرفاً في كتابِ اللهِ إلا بأثرِ قولهِ عزَّ وجلَّ ((وأملي لهم)) فوجدتُ الناسَ قد سبقوا إليه) .

فهل يحتاجُ الأمر الى دفاعٍ بعد هذهِ الشهاداتِ، وهلْ من شكٍ في أنَّ حمَّادَ الراوية لم يقلْ ذلك ؟ وهو منه براء، براءة الذئبِ من دمِ يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وبذلك تكون رواية ابن عبدربه باطلة غير صحيحةٍ، وإذا أردنا أنْ نحملها على حُسنِ النيةِ نقولُ : إنَّ ابن عبد ربه الأندلسي قد اختلطَ عليه الأمر، فنسبها لحمّاد الراوية متوهماً من غير أنْ يتأكدَ من صحة روايته .

سابعاً : اسحاق بن حسان المعروف بأبي يعقوب الخريمي وقصة الغلام الأمرد

قال أبو الفرج الأصفهاني (١٠٠) : (أخبرني الحُسين بن يحيى عن حمّاد بن اسحق عن أبيه، قال : حدثني أبو يعقوب الخريمي (اسحاق بن حسان) قال : كنتُ في مجلسٍ فيه حمّاد عجرد، وحمّاد الراوية، ومعنا غلامٌ أمردٌ، ونظر إليه حمّاد الراوية نظراً شديداً، وقال لي : يا أبا يعقوب، قد عزمتُ الليلة على أنْ أشربَ على هذا الغلام، فقلتُ : شأنكَ بهِ، ثم نمنا، فلم أشعرْ بشيءٍ إلا وحمّاد ينيكني، وإذا أنا قد غلطتُ ونمتُ في موضعِ الغلامِ، فكرهتُ أنْ أتكلمَ فينتبهُ الناس فأفتضحْ، وأبطلُ عليهِ ما أراد، فأخذتُ بيدهِ فوضعتُها على عيني العوراء ليعرفني، فقال : قد عرفتُ الآن، فيكون ماذا ؟ وفديناهُ بذبحٍ عظيمٍ، قال : ما برحَ، علم اللهُ، وأنا أعالجهُ جهدي، فلا ينفعني، حتى أنزل) .

تحليلُ النصِّ والحكمُ عليه

القصةُ موضوعةٌ ومفبركةٌ، ومرفوضةٌ، وساقطةٌ أخلاقياً وأدبياً، ذلك لأنَّ راويتها رجلٌ مأبونٌ منحرفٌ أخلاقيًا، وشاذٌ جنسيًا، ولوْ قرأنا الخبر ثانيةً لعجبنا من هؤلاء المؤبونون، وطرق رواياتهم، ولنتساءل كيفَ سمحَ لنفسهِ أبو يعقوب أنْ ينامَ مكان الغلام ؟ وهو يعرفُ مسبقاً أنّ النيةَ مبيتةٌ على ممارسةِ اللواطِ معهُ ؟ ألمْ يكنْ نومه مكان الغلام الأمرد إنْ صح قوله هو متعمدٌ ! وإذا كان الخريمي شريفٌ عفيفٌ، ولا يريدُ أنْ يفسدَ على حمّاد نزوته فأسرها في نفسه، فلم يروِها للمجتمع، مؤكداً فيها أنَّ حمّاد الراوية قد لاطَ بهِ، ونالَ منه نزوتهُ، فالخبرُ عارٍ من الصحةِ ولا يمكن قبوله، إلا في حالةٍ واحدةٍ، هي أنّ الذي مارسَ اللواطَ معه هو حمّاد عجرد، وليس حمّاد الراوية، ولعنَ اللهُ الخريمي، وقبحهُ على هذه الرواية الساقطة المنحطة، فهلْ يعقلُ أنْ نقبلَ بروايةِ منْ كان منحرفًا ومأبونًا، مثل أبي يعقوب الخريمي، ونصدقُ ما يروي ويقول ؟ فلبئسَ القراءُ نحنُ إذن .

ثامناً : الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)

الشريفُ المرتضى لم يكن خصماً لحمّاَد الراوية كما أرى وأرجحُ، لأنَّهُ بعيدٌ عنهُ زمانًا ومكانًا وما جاء في أماليه، إلا هو مقحمٌ عليه، ولم يقله الشريف المرتضى، وهو حسبما أرى بريءٌ منه، ومع ذلك أدرجُ في أدناه ما جاء في أماليه ليطلع عليه القارئُ الكريم وهو :

أ – قال عبدالكريم بن أبي العوجاء، لما قبضَ محمدُ بن سليمان والي الكوفة عليه ؛ وقدمهُ ليُضربَ عنقه، وأيقنَ عبدالكريم بالقتل قال (١٠١) : (لئن قتلتموني، لقد وضعتُ في أحاديثكم أربعة آلافِ حديثٍ مكذوبةٍ مصنوعةٍ)، فقال الشريفُ المرتضى : والمشهور من هؤلاء : الوليدُ بن يزيد بن عبدالملك، والحمّادون : حمّادُ الراوية، وحمّادُ بن الزبرقان، وحمّادُ عجرد ....

تحليلُ النصِّ والحكمُ عليه

أقولُ لوْ صحتْ الرواية : فقد فاتَ الشريفُ المرتضى على جلالةِ قدرهِ وعلمهِ، وعلوِ كعبهِ في العلوم الدينية ومنها الحديث الشريف، أنَّ هؤلاء الذين ذكرهم، لمْ تُعرفْ عنهم رواية الحديث الشريف مُطلقاً، ولم يذكرهم رواةُ الحديثِ الشريف، لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ، فالوليدُ بن يزيد بن عبدالملك رجلٌ خليعٌ ماجنٌ وفاسقٌ، فاسدُ المروءةِ ؛ ميت الضمير، يعاقرُ الخمرة، ضعيفُ الدين، فكيفَ يكون من رواة الحديث الشريف ؟ وكيف يسمعه الناس ويأخذون منه ؟ والحمّادون الثلاثة معروفٌ ؛ أنَّهم كانوا يرمون بالزندقة، والزنادقة لا يؤخذ برواياتهم، ومِنْ ثمَّ فحمّاد الرواية، هو من رواةِ الشعرِ، ولم يكن في يومٍ ما من رواةِ الحديث الشريف، فكيفَ إذاً فاتَ الأمرُ على رجلٍ مثل الشريف المرتضى وهو علم الدين في زمانه، لذا أرى أنَّ الشريفَ المرتضى لا علمَ له بهذه الرواية، ولم ينطقْ بها، وإنّما هي مقحمةٌ عليه، وهو بريءٌ منها، بل هي من اضافات تلامذته أو النساخ المغرضين .

ب – قال الشريف المرتضى (١٠٢) : (عمل يونس بن أبي فروة كتابًا في مثالبِ العربِ، وعيوبِ الإسلامِ، حسبَ زعمه، وصار به إلى ملك الروم، فأخذ منه مالًا، وقال أحمد بن يحيى النحوي : قال رجل : يهجو حمّاد الراوية :

نِعْمَ الفتى لوْ كانَ يعرفُ ربـــهُ ويقيمُ وقتَ صلاتـهِ حمّـــادُ

بسطتْ مشافرهُ الشمول فأنفهُ مثلَ القدومِ يسنها الحـدادُ
وأبيض من شرب المدامةِ وجههُ فبياضهُ يومَ الحسابِ أسودُ
لا يعجبنكَ بزه ولسانـــــــهُ إنَّ المجوسَ يرى لها أســـبادُ

وكان حمّادٌ مشهورًا بالكذب في روايته وعمل الشعر، وإضافته الى الشعراء المتقدمين، ودسّهِ في إشعارهم، حتى أنَّ كثيرًا من الرواة قالوا : قد أفسد حمّادُ الشعرَ، لأنَّهُ كان رجلًا يقدرُ على صنعتهِ، فيدسُّ في شعرِ كلَ رجلٍ منهم ما يشاكلُ طريقتهِ، فاختلط ذلك الصحيحُ بالسقيمِ، وهذا الفعل منه، وإنْ لم يكنْ على الالحادِ فهو فسقٌ وتهاونٌ بالكذبِ في الرواية) .

تحليل النصِّ والحكمُ عليهِ

لو أنعمنا النظرَ في هذا الخبرِ، لوجدناهُ يصرخُ بوجهِ قارئهِ، معلناً أنَّهُ موضوعٌ مصنوعٌ، والشريفُ المرتضى بريئٌ منه، براءةً يشهدُ بها القاصي والداني، وذلك للأسبابِ الآتية :

١- الخبرُ يتحدثُ عن كتابِ (مثالبُ العرب وعيوبُ المسلمين) .
٢- ما الذي أقحمَ خبرَ روايةِ أحمد بن يحيى النحوي في هجاء رجل لحمّاد الراوية في رواية كتاب مثالب العرب وعيوب المسلمين، وهما خبران مختلفان ومتناقضان .
٣- من الرجلُ الذي هجا حمّاد الراوية بهذا الشعر ؟ ألم يكن له أسمٌ ؟ لماذا لم يذكرْ اسمه، فمن نسيَ اسم الشاعر، الأجدر أنْ لا تقبلَ روايته ولا يصحُ خبره .
٤- وخبر الصحيح لهذه القصيدة، هو أنَّ حمّاد الراوية عابَ شعراً لأبي الغول علباءِ بن جوشن (١٠٣)، فقال يهجوه بهذه القطعة وهي ستة أبيات، وهذه الأبيات محرفة عن المهجو الأصلي، لتوجه الى حمّاد الرواية وهو براءٌ منها، والمهجو الأصلي في هذه القطعة هو حمّاد عجرد، ثمَّ أنَّ الشعرَ ليس لأبي الغول، بل هو للشاعر بشار بن برد يهجو حمّاد عجرد (١٠٤) .
٥- الخبر الثاني برمته ساقط من نسخة المخطوطة (م) مما يؤكد أنَّ الخبرَ مقحمٌ على الرواية، ولا سبيل الى قبوله (١٠٥) .
٦- قال محققُ كتاب الأمالي، الأستاذُ محمد أبو الفضل إبراهيم في وصفِ النسخة المعتمدة بصفتها النسخة الأم (١٠٦) : (وعلى النسخةِ حواشٍ كثيرةٍ، هي مما أملاهُ فضلُ اللهِ

على تلميذهِ الحُسين بن أبي عبدالله الخومجاني أو مما نقله من نسخته)، وهذا يعني أنّ كثيراً من الحواشي قد أُقحمتْ على النصِّ الأصلي من كتابِ الأمالي، وهذا يقوي رأيي أنَّ الخبرَ الثاني هو من أخبار الحواشي وأُقحمَ على الخبرِ الأول .

٧- وطبقاً لما تقدم أقولُ بثقةٍ واطمئنانٍ : إنَّ حمّادَ الراوية بريءٌ من التهمةِ، وأنَّ الشريفَ المرتضى لم يقلْ ذلك، وهو الآخر بريءٌ منه، والخبرُ مجردُ افتراءٍ محضٍ ليس أكثر .

تاسعاً: الدكتور محمد مهدي البصير

ومن النقاد المحدثين، المتأخرين زمانًا ومكانًا الدكتور محمد مهدي البصير، ممن اتهمَ حمّادَ الراوية بالنحل والانتحال، ومعلومٌ لدى الجميع أنَّ الدكتور محمد مهدي البصير أكملَ دراسته العليا (الماجستير والدكتوراه) (١٠٧) في فرنسا متتلمذاً على يدِّ كبارِ المستشرقين الفرنسيين وغيرهم، لذلك كان متأثراً بآرائهم وأفكارهم المعادية للفكر العربي والإسلامي، وبنسبة معينة، يقبلُ بعضاً منها ويرفضُ البعض الآخر، والذي يهمني من هذه النقطة هو موقفه من الشعر الجاهلي، فالدكتور البصير في محاضراته التي جمعها طلبته من بعد وفاته في كتاب سموهُ ((بعثُ الشعر الجاهلي)) نجدُ الدكتور البصير مضطرباً ومرتبكاً لا يرسو على شاطئ قولٍ محددٍ، فهو يقولُ القولَ وينقضه من حيث يدري ولا يدري، وفي معرض حديثه عن المعلقات يقولُ (١٠٨) : (إنَّ حمّادَ الراوية المعروف بالكذابِ أولَ من جمعها ودونها في سفرٍ) وبعدهُ مباشرة نسي ما قاله آنفاً فقال : (لست أريد أنْ أناقشَ في فسادِ ذمةِ حمّاد ؛ ولكني أقولُ : إنَّهُ أعجزُ بكثير في أنْ يقول هذهِ المطولاتِ السبعِ أو واحدةٍ منها أو جزءًا من أجزاءِ إحداهن) في قوله الأول قال : إنَّهُ أول من جمعها .. وفي قوله الثاني قال : إنَّهُ أعجز بكثير من أنْ يقول هذه المطولات ... والفرقُ كبيرٌ جداً بين كلمتي (جمعها – ويقول هذه المطولات) علماً أنَّهُ لم يقل أحدٌ من النقادِ والعلماءِ العربِ القدماءِ والمحدثين ، ورواةِ الشعرِ العربي قبل الإسلام أنَّ حمّادَ الرواية هو من قال المطولات، بل كان اجماعهم على أنَّهُ هو أولُ من اختارها وأشار إليها (١٠٩)، والسؤالُ هنا من أين جاءَ الدكتور محمد مهدي البصير بخبرهِ هذا وما هو مصدره، ألا كان الأجدرُ به أنْ يوثقه من مصدره ليكون حجةً له، ويقبله القراءُ

والدراسون، فالبصيرُ استخدم طريقةَ التعميةِ والتضليلِ على القراءِ والدراسين على طريقة معاصره الدكتور طه حسين من خلال عدم قدرتهِ على اثباتِ ما يقوله، لذلك تركهُ سائباً بلا مصدرٍ، وبموجب ذلك يعدُ ما قاله الدكتور البصير فرية على رجلٍ لم يقلْ : أنا قلتها ؛ فضلاً عن تناقضهِ في القولِ مرة يقول : أختارها، ومرة أخرى يقول : قالها ، لذلك فإنَّ قوله جملةً وتفصيلاً مرفوض البته ؛ وحجته داحضة .

وأضافَ الدكتورُ البصيرُ قائلًا (١١٠) : (وأما شعره المروي على أنَّه محمولٌ على الشعراءِ الجاهليين والمخضرمين، فهو عبارة عن اثني عشر بيتاً ؛ نسب اثنان منها الى زهير وهما :

لمنْ الديارُ بقنا الحجـــرِ أقوينَ مذْ حججٍ ومنْ شـــهرِ

قفراً بمندفع النحائتِ منْ ضغوى أولاتِ الضالِ والسدرِ) .

مناقشة ما قاله الدكتور البصير :

قال البصيرُ بيتين والحقيقة هي ثلاثةُ أبياتٍ والبيتِ الثالث هو :

لعبَ الرياحُ بها وغيرها بعدي سوافي المورِ والقطرِ

والبيت موقعه بين البيتين ؛ وأجمعَ صُناع ديوان زهير بن أبي سلمى، ومعهم محققو الديوان على أنَّ الابيات الثلاثة هي مقدمة لقصيدة قالها زهير وهي في ديوانه، وخبر صُنعها من لدن حمّاد الراوية، ونحلها لزهير بن أبي سلمى مرفوض البتة، علماً أنَّ حمّاد الراوية أضاف على مرويات شعر زهير أكثر من (٢٥) خمسة وعشرين بيتًا لم يقف عليها الدكتور محمد مهدي البصير (١١١) .

أما الأبيات العشرة التي قال الدكتور البصير عنها ؛ إنَّ حمّادَ الراوية أضافها الى شعر الحطيئة والأبيات هي من القصيدة ذات المطلع :

هلْ تعرفُ الدارَ من عامينِ او عامِ دارٌ لهندٍ بجزعِ الخرجِ فالدام

لهذه القصيدة رواية طريفة متكلفة وساذجة، فقد قال محمد بن سلّام الجُمحي (١١٢) : (أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قَدِمَ حمّاد البصرة على بلال بن أبي بردة، وهو والٍ عليها، فقال له : أما أطرفتني شيئاً ؟ فأنشدهُ قصيدة الحطيئة في مدح أبي موسى الأشعري، فقال له : ويحك

أيمدحُ الحطيأةُ أبا موسى ولا أعلم، وأنا أروي شعر الحطيأة، ولكن دعها تذهبُ في الناس) وقد فندت الخبر في فقرة محمد بن سلّام بالتفصيل والتي مرَّ ذكرها .

ومن خلال ما تقدم يظهر لي أنَّ الدكتورَ محمد مهدي البصير لم يكنْ مطلعاً على ديوان الحطيأة، وما فيه من أخبارٍ وأقوالٍ فيما يتعلق بمرويات حمّاد الراوية، ولم يكن محيطاً بها، مما اوقعه في هذا المطب والوهم، ليفتري على حمّاد الراوية ما لم يقل به، فالبصير يقول آراءه بلا دليل او برهان .

العلماءُ الذين يوثقون حمّاد الراوية :

أما العلماءُ الذين يوثقون حمّاد الراوية ؛ ويأخذون برواياته، ولم يردْ لبعضهم خبر ولا تعليق في أثناء البحث، فهم كما يأتي :

١- أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، وهو شيخُ الرواةِ ؛ وزعيمُ مدرسةِ البصرة، وأحد القراء السبعة، كان معاصراً لحمّاد الراوية، ومنافساً قوياً له على زعامةِ رواية الشعرِ ونقده، إلا أنّه كان منافساً شريفاً، نظيفُ السريرةِ، فقد قال عن حمّاد الراوية :

أ- قال أبو عمرو الشيباني (١١٣) : (ما سألتُ أبا عمرٍو بن العلاء قط عن حمّاد إلا قدمهُ على نفسهِ، ولا سألتُ حمّاد عن أبي عمرٍو إلا قدمهُ على نفسهِ)، وهذه هي أخلاقُ العلماءِ، وهذهِ الشهادةُ وحدها تزكي حمّاد الراوية وتبرئهُ من التهمِ الموجهة اليه كافة .

ب- قال الأصمعيُ : قال : أبو عمرو بن العلاء (١١٤) : (ما سمعَ حمّاد الراوية حرفاً قط إلا سمعتهُ وكان أسنُ من حمّاد)، وهذا يعني أنَّ كلَّ ما رواهُ حمّاد الراوية صحيحًا، لا عيبَ فيه ولا شائبة، إذْ كان يشاركهُ في روايتهِ أبو عمرو بن العلاء، وهو من كبارِ العلماءِ الثقات فضلًا عن ناقل الخبر هو الأصمعي، والأصمعي هو الآخرُ من الرواةِ الثقات .

٢- الهيثم بن عدي (ت٢٠٧هـ) قال عن حمّاد الراوية (١١٥) : (ما رأيتُ رجلًا أعلمُ بكلامِ العربِ من حمّاد) .

٣- قال الطرماحُ بن حكيم الطائي (١١٦) : (أنَّهُ أذكى الناس وأحفظهم) .

٤- أبو الطيب اللغوي (ت٢٥١هـ) :

أ- قال أبو الطيب اللغوي (١١٧) : (إنَّ حمّادَ الراوية من أوسعِ الكوفيين روايةً، وقد أخذ عنه أهل المصرَين)، يعني البصرة والكوفة، وهذا يؤكد أنَّ علماءَ البصرة والكوفة كانوا يأخذون بآراءِ حمّاد الراوية ورواياته .

ب- نقل أبو الطيب اللغوي عن الأصمعي قوله (١١٨) : (أنَّهُ روى شعرًا عن حمّاد).

٥- قال أبو البركات الأنباري (١١٩) : (كان خلفُ الأحمر أولَ من أوجد السماعَ بالبصرة، وذلك أنَّهُ جاء إلى حمّادِ الراوية، فسمعَ منه، وكان ضنينًا بأدبه) .

٦- رواة المعلقات وشراحِها ممن أخذوا برواية حمّاد الراوية، وذلك معلوم للجميع (١٢٠) : (إنَّ حمَّاد الراوية لما راى زهد الناس في حفظِ الشعرِ جمعَ هذه السبع، وحضهم عليها، وقال لهم : هذه المشهورات) والقصائدُ السبع المعروفة بالمعلقاتِ هي للشعراء الآتية اسماؤهم : (إمرؤ القيس، طرفة بن العبد، زهير بن أبي سلمى، لبيد بن ربيعة، عمرو بن كلثوم التغلبي، عنترة بن شداد، الحارث بن حلزة اليشكري) على التوالي .

وقد أخذ بروايةِ حمّاد الراوية كلٍّ من الشراحِ والرواة الآتية أسماؤهم :

أ- ابن الأنباري (ت٣٢٨هـ) راويةٌ والدهِ المتوفى سنة (٣٠٥هـ) صاحب شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات .

ب- ابن النحاس (ت٣٣٨هـ) بعد أنْ جمعَ بين روايتي حمّاد الراوية والمفضل الضبّي في شرحه (شرح القصائد التسع المشهورات).

جـ – الزوزني (ت ٤٨٦هـ) صاحب شرح القصائد السبع .

د – التبريزي (ت٥٠٢هـ) صاحب شرح القصائد العشر.

حينما رأى المفضلُ الضبّيُ، شغفَ الناسِ وحبهم لهذه القصائد أراد أنْ يكون له فيها شأنٌ، فأيدَ حمّاد الراوية في اختياره هذا، إلا أنَّهُ اختار النابغة الذبياني، والأعشى بدلًا من عنترة بن شداد، والحارث بن حلزة اليشكري، والحذف والإضافة، أحدثا انقسامًا بين رواة المعلقات بشأن أصح الروايات التي يمكن اعتمادها، لذا لما جاء ابن النحاس جمعَ بين روايتي حمّاد الراوية والمفضل الضبّي في روايةٍ واحدةٍ .

٧– أبو سعيدٍ السُكري (ت ٣٨٠هـ)، ذكر السُكري في روايته لشعرِ الحطيأةِ قصائد ومقطعات لم ترِدْ في رواية ابن السكيت، ومنها على سبيلِ المثالِ لا الحصر ما رواه السُكري عن حمّادِ الراوية :

أ – وقال في رواية حمّاد، ولم يروها أبو عبدالله (١٢١) :

١– لا تجمعا مالي وعرضي باطلاً كلا لعمرُ أبيكما حبَاقِ

٢– وكلاكُما جرتْ جعادٌ برجلهِ نشبين بينَ مشيمةٍ وملاقي

ب – وقال في رواية حمّاد، ولم يروها أبو عبدالله (١٢٢) :

١– أخو ذبيانَ عبسٍ ثم مالتْ بنو عبسٍ الى حسبٍ ومالِ

٢– فما إنْ فضلُ ذبيانَ علينا بشيءٍ غيرَ أقوالِ الضلالِ

لم يمله أبو جعفر من ها هنا الى آخر الجزء، وكتبه أبو سعيد من كتابه

٣– سوى أنْ أقدموا وحظوا علينا كما تحظى اليمينُ على الشمالِ

٤– تنوطنا بذبيانَ عـــــزيزٌ علينا مثلُ أثقالِ الجبـــالِ

وعبارةُ وكتبه أبو سعيدٍ من كتابه، إشارةٍ صريحةٍ الى أنَّ السُكري كان ينقلُ روايته من كتابِ أشعارِ العربِ لحمّادِ الراوية .

٨– أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)

قال أبو هلال العسكري (١٢٣) : حدثنا أبو أحمد، قال : أنشدني أبو اسحق الشطبي، قال : أنشدنا حمّادُ الراوية في مدحِ الأخوانِ :

١– تصفحتُ اخواني بعينِ عنايـــةٍ فأصلحتُ منها كلَّ ما أفسدَ الدّهرُ

٢– وأرضاكَ عفوِ الشّكرِ دونَ اجتهادهِ وفي دون ما أوليتُ ما اجتهدَ الشّكرُ

٩– ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)

أ– روى عن حمّاد الراوية قصةَ الحطيأة مع الزبرقان بن بدر (١٢٤).

ب – روى ابن الشجري البيت السابع من قصيدة الحطيأة في هجاء الزبرقان كما يأتي(١٢٥) :

ما كانَ ذنبُ بغيضٍ أنْ رأى رجلاً ذا فاقةٍ حلَّ في مستوعرٍ شاسِ

وعلق على هذا البيت قائلًا : هذه رواية حمّاد الراوية، وروى الأصمعي :

ما كانَ ذنبُ بغيضٍ لا أبا لكم في بائسٍ جاءَ يحدو آخرَ الناسِ

وأضاف ابن الشجري قائلًا : ورواية حمّاد أجود لئلا يتكرر الناس في القافية فيكون إيطاءً قبيحًا، وفعلاً فقد صدق ابن الشجري إذ تجيءُ الناس قافية للبيت الحادي عشر حينها يكون الإيطاء الذي يعدُ من عيوبِ الشعرِ .

جـ – قال ابن الشجري (١٢٦) : في كتابِ حمّادِ الراوية زيادةً في هذا الموضعِ بيتان، قال أبو حاتم : مصنوعان مردودان :

٤٤– بزاخر نائلٍ سبط ومجد مخالطه العفافة والحيـاءِ

٤٥– وأمضى من سنانِ إز أنى طعنتُ بهِ إذا كره المضاءِ

وقد شرحَ ابن الشجري البيتين، اللذين أخلتْ بهما رواية الديوان برواية ابن السكيت ولكن محقق الديوان (١٢٧) د. نعمان محمد أمين طه أشار إلى أنهما موجودان في مخطوطة الديوان برواية السُكري المحفوظةِ في مكتبةِ الفاتح بتركيا .

د – قال ابن الشجري (١٢٨) : قال السجستاني : في كتابِ حمّادِ الراوية زيادة بعد هذا البيتِ، أربعة أبياتِ كتبتها، ليُعرفَ المصنوع وهي :

٢٢– وتشربُ بالقعبِ الصغيرِ وإنْ تقـــدْ بمشفرها يوماً إلى الحوضِ تنقدِ

٢٣– وإنْ حط عنها الرحلُ قارب خطوها أمين القوى كالدملجِ المتعضدِ

٢٤– تراقبُ عيناها إذا تلع الضحـــــى ذباباً كصوتِ الشاربِ المتغردِ

٢٥– وتضحي الجبال الغبر خلفي كأنَّهـا من الآلِ حفتْ بالملاءِ المعضدِ

الأبياتُ الأربعة موجودةٌ في ديوان الحطيئة برواية ابن السكيت وهي من القصيدة ذات المطلع (١٢٩) :

١- آثرتُ إدلاجي على ليلِ حرةٍ هضيمَ الحشى حسانة المتحردِ

والأبيات تحمل التسلسل الآتي : ٢٣، ١٩، ٢٤، ٢٧ على التوالي، والأبيات صحيحة النسبة للحطيئة فقد رواها ابن السكيت، والسكري، وخالد بن كلثوم (١٣٠)، وهم

من كبارِ رواةِ الشعر العربي الثقات الذين رووْا الشعر القديم والإسلامي، فضلاً عن ذلك أنَّ الأبياتَ الأربعة، لم ترد في ديوان الحطيئة متسلسلة، كما رواها السجستاني، بل جاءت متناثرة في أثناء القصيدة بين تقديمٍ وتأخيرٍ، ولم يشر رواة القصيدة وشراحها، وهم من الثقات إلى أنَّ الأبياتَ موضوعة، ولم يسقطوها من القصيدة، وهذا يؤكد أنَّ رواية السجستاني موضوعةٌ وغير صحيحةٍ، فضلًا عن أنَّ معنى القصيدة وغرضها الرئيس يتخلخلُ عند حذف هذه الأبيات، وإذا علمنا أنَّ السجستاني هو من أشد المتعصبين على علماءِ الكوفة، وكان يجنحُ الى الطعن بحمّاد الراوية، والإنتقاص من روايته، ولكنَّ اللافت للنظر ؛ هو وعلى الرغم مما تقدم، فأنّ السجستاني نفسه يعترف أنَّهُ لا مناصَ له من الإطلاع على رواية حمّاد للشعرِ، والرجوع إليها والأخذ منها، ليسد ما في روايته من ثغراتٍ، وبدلاً من الإعتراف بفضل حمّاد الراوية، إلا أنّهُ يجحدُ حقه وينكر معروفه، فيقول كتبتها ليعرف المصنوع، والواقع يقول : إنَّ اعتذارهُ أشدُ قبحًا من ذنبه .

١٠- جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)

قال جلالُ الدين السيوطي : كان من أوسعِهم روايةً حمّاد الراوية، وقد أخذَ عنه أهل المصرين، وخلف الأحمر، وروى عنهُ الأصمعي شيئًا من شعره (١٣١) .

١١- عبدالقادر البغدادي (ت ١٩٠٣هـ)

قال عبد القادرُ البغدادي يصفُ حمّادَ الراوية (١٣٢) : (كانَ من أعاجيبِ الدُنيا، وهو ممنْ يصحُ الاستشهادُ بكلامه) .

ومما تجدرُ الإشارة إليه أنَّ حمّادَ الراوية صنعَ ديوان الرباب (١٣٣) وكذلكَ صنعَ المفضلُ الضبّي الديوان نفسه (١٣٤)، وهذا يدل دلالة قوية على أنَّ المفضلَ كان منافساً قوياً لحمّاد الراوية، وندا له فيما يصنع ويروي، مثلما فعل معه حينما اختار المعلقات السبع .

الدكتورُ محمود عبدالله الجادر وحمّاد الراوية :

قبل ختام الفصل أودُ أنْ يطلعَ القارئُ الكريمِ على رأي الدكتور محمود عبدالله الجادر في حمّاد الراوية، فالدكتور الجادر شأنهُ شأنُ محمد بن سلاّم الجمحي، إتهم حمّاد الراوية

بالشعوبية والطعن على الأدب العربي، وذلك في بحثه الموسوم (الهويةُ القومية للأدب العربي) في قوله (١٣٥) : (على أنَّ العصرَ الأموي شهدَ أنماطاً أخرى من محاولاتِ الشعوبيةِ للكيدِ للشعرِ العربي، إذْ كان بعضُها يتخذُ أحياناً صيغة الدسّ والتشويه، التي برعَ فيها رواةُ الشعرِ المنحدرون من أصولٍ غير عربيةٍ، ولنا أنْ نرصدَ ذلك في شخصية حمّاد الراوية الذي قدمَ للأدب العربي خدماتٍ كثيرةٍ، ولكنّهُ دسّ الكثير من الرواياتِ حتى شوه وجه التراث) .

السؤالُ المثير للجدل والذي يفرض نفسه على كلِّ قارئٍ، هو هلْ كلّ مسلمٍ غيرِ عربيٍ وقدم للإسلام، ولغته الشريفة خدماتٍ، هو شعوبي ؟ وما مقياسُ الشعوبية ؟

الشعوبيةُ حركةٌ شيفونية معادية للدين الإسلامي، وتحاول بكلِّ ما أوتيتْ من قوةٍ تحريفُ المبادئ التي جاءَ بها الإسلام وأقرها القرآن الكريم، وصدّقها رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحديثه الشريف، وما عدا ذلك لا يعدُ المسلم غيرالعربي شعوبيًا، لأنَّ الإسلام دينُ الإنسانيةِ، دخلهُ العربُ والأعاجمُ، بمختلف قومياتهم، فهم يقرأون القرآن، ويؤدون الشعائر الدينية باللغة العربية، فبرعوا في علومها المختلفة، مثل التفسير ورواية الحديث، والنحو والصرف والأدب والنقد، فلا يمكن أنْ نرمي هؤلاء بالشعوبية، وحمّاد الراوية ممن خدموا اللغة العربية عن طريق رواية أخبارها وأشعارها وأيامها وأنسابها ولغاتها كما يقول المفضل الضبّي، ومشاركته في نقدِ الشعر وترسيخ جذوره ، فما قاله الأستاذُ الدكتور محمود عبدالله الجادر، يمثلُ صدىً لآراء محمد بن سلّام الجمحي، المتحامل على حمّاد الراوية، لذا لم يكن الدكتور الجادر متوثقاً من أنَّ حمّاد الراوية كان شعوبيًا، ولكنه جرى مع الرياح التي قالت بذلك، ولكن الذكاء والفطنة كانتا حاضرتين عند الجادر فأنصفَ حمّاد الراوية في صدر كلامه، ثم عاد ليطعنه في عجز كلامه، فكان الإنصافُ حقٌ، والطعنُ افتراءٌ، وقد أثبتَ البحثُ في محاكمة حمّاد الراوية، فساد كلّ الروايات التي اتهمتْ حمّاد الراوية وأبطلتها، وسبق لي أنْ أهديتُ أستاذي الدكتور محمود عبدالله الجادر نسخةً من بحثي الموسوم (حمّاد الراوية بين يدي القضاء الأدبي) وطلبتُ منه أنْ يوافيني برأيهِ فيما كتبتْ وتوصلت إليه، ووعد بذلك ... ولكنهُ ماتَ ولم ينطق بحرفٍ واحدٍ، رحمَ الله أستاذي محمود الجادر، وأحسن إليه، وغفر ذنوبه، وزاد في حسناته وأسكنه الجنة .

خاتمةُ الفصلِ

مما تقدم يمكنُ القولَ بثقةٍ واطمئنانٍ، أنّ حمّاد الراوية اسمٌ على مُسمى، وهو من رواةِ الشعرِ العربي الموثوقِ بمروياتهم، وعلى الباحثِ والدارسِ والناقدِ، حينما يريدُ أنْ يصدرَ حكمًا، عليه أنْ يتجردَ من الأهواءِ والعواطفِ، وينظر إلى الأمرِ بعينِ الحقِّ والعدلِ، ولا تأخذهُ في ذلكَ لومةِ لائمٍ، صحيحٌ أنَّ حمّاد الراوية في شبابهِ المبكرِ كانَ يصاحب اللصوصِ والشطارِ ويرافقهم، ولكنَّهُ في النهايةِ رجلٌ مسلمٌ يقولُ الشهادتين : لا اله إلا الله، محمد رسول الله، ويتكنى بأحلى الكنى (أبو القاسم) كنيةِ رسولِ اللهِ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ألسنا نؤمنُ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يغفرُ الذنوبَ جميعًا إلا الشرك ؟ والرجلُ غير مشركٍ، فلماذا لا نغيرُ نظرتنا السابقة عن حمّاد الراوية، ولاسيما بعد أنْ ظهرت برائته، وقبلَ ذلكَ ثابَ إلى رشدِهِ، وتابَ إلى ربهِ، وحسنتْ سيرته، وظهرَ للمجتمعِ بوجهٍ جديدٍ، حتى أصبحَ من أعلامهِ الكبار في رواية الأشعار ونقدها، وهذا أبو عمرو بن العلاء شيخُ الرواة ؛ وزعيمُ مدرسة البصرة، وأحدُ القراء السبعة يوثق روايته، ويؤكد صحة حفظه، وقد رأينا الآراء والروايات كيف تتضاربُ، وكيف يناقضُ بعضها البعض الآخر، وهي في المحصلة النهائية برأتْ حمّاد الراوية مما رمي به .... إذاً بهذه الرؤية الجديدة يكونُ حمّاد الراوية رجلًا صالحًا صادقًا صدوقًا موثوقًا به، وأنَّهُ استحق لقب الراوية عن جدارة واستحقاق، والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلى الله تعالى على نبيه محمدٍ وآلهِ وسلم .

الهوامش :

١- ينظر الفهرست : ١٠٤

٢- ينظر معجم الأدباء والمؤلفين : ١٠/ ٢٥٨

٣- ينظر الفهرست : ١٠٤

٤- ينظر المعارف : ٣٣٣

٥- ينظر طبقات النحويين واللغويين : ١٩١ إلا أنَّ ترجمته سقطت من الكتاب ووضعت بدلا عنها نقاطا .

٦- ينظر الأغاني : ٦ / ٨٧

٧- م . ن : ٨٩/٦

٨- ينظر معجم الأدباء والمؤلفين : ١٠/ ٢٦٠

٩- ينظر الأغاني : ٦ / ٨٦

١٠- ينظر الفهرست : ١٠٤

١١- ينظر م . ن : ١٠٤

١٢- ينظر م . ن : ١٠٤

١٣- ينظر الفهرست : ١٠٤، وفيات الأعيان : ٢/ ٢٠٩

١٤- البصائر والذخائر: ٨ / ٢٤

١٥- تاريخ آداب اللغة العربية : ٢٦٩

١٦- خزانة الأدب : ٩ / ٤٥١، وينظر الأغاني : ٨٧/٦

١٧- نزهة الألباء : ٤٣

١٨- ينظر معجم الأدباء والمؤلفين : ٢٦٦/١٠

١٩- ينظر م . ن : ٢٦٥/١٠

٢٠- البصائر والذخائر : ٩ / ١٣٧

٢١- جهود أبي علي المرزوقي في الرواية والنقد واللغة : ٨

٢٢- مصادر الشعر الجاهلي : ٤٤٧

٢٣- المصون في الأدب : ٦

٢٤- ينظر الأغاني : ٨٣/٦

٢٥- ينظر معجم الأدباء والمؤلفين : ١٠/ ٢٦٦

٢٦- ينظر الأغاني : ٨٣/٦

٢٧- وفيات الأعيان : ١ / ٤٥١

٢٨- ينظر معجم الأدباء والمؤلفين : ١٠/ ٢٦٦، الفهرست : ١٠٤

٢٩- ينظر شرح ديوان زهير : ٣١١

٣٠- ينظر ديوان المفضليات بشرح ابن الانباري : ٣٣

٣١- مختارات أشعار العرب : ٤٤١، ٤٥٦

٣٢- الأغاني : ٩/١٨، وينظر خزانة الأدب : ١ / ١٠٧

٣٣- طبقات فحول الشعراء : ٥/١

٣٤- الأغاني : ٢٠١/٢١

٣٥- م . ن : ١١/٩

٣٦- م . ن : ٧/١١-٨

٣٧- م . ن : ٣٧٦-٣٧٧

٣٨- وفيات الأعيان : ٢/ ٢١٠ ؛ أما ابن خلكان فقد قال : كان حمّاد قليل البضاعة، قيل أنَّهُ حفظَ القرآن من المصحف ؛ فصحف في ثلاثين حرفاً . نزهة الألباء : ٢٩٤/١ ؛ وكلام ابن خلكان لا يمكن التسليم به لأنَّهُ لم يكن واثقاً مما يقول ؛ فلجأ الى استعمال فعل التمريض (قيل) ولو كان واثقاً من صحة خبره لما استعمل فعل التمريض .

٣٩- مراتب النحويين : ٧٢

٤٠- الفهرست : ١٠٣

٤١- الأغاني : ٦ / ٨٩

٤٢- مراتب النحويين : ٧١

٤٣- مصادر الشعر الجاهلي : ٤٤٧ . ٤٤٥

٤٤- م . ن : ٤٤٥

٤٥- م . ن والصفحة نفسها

٤٦- م . ن والصفحة نفسها

٤٧- ينظر الأغاني : ٨٥/٦، وينظر خزانة الآدب : ٩ / ٤٤٤- ٤٤٦

٤٨- ينظر تاريخ الطبري : أحداث سنة ١٦٤هـ

٤٩- ينظر الأغاني : ٦/ ٨٢

٥٠- ينظر شرح ديوان زهير : ٣٤ -٣٥

٥١- مختارات أشعار العرب : ٢١٠-٢١١، ويلاحظ الهامش الأول من الصفحة : ٢١٠

٥٢- الأزمنة والأمكنة : ٢ / ٣١٦

٥٣- الشعر والشعراء : ١ / ١٣٩

٥٤- شرح شواهد المغني : ٧٥٤/٢

٥٥- مختار الشعر الجاهلي : ٢٩٩

٥٦- المفصل في تاريخ العرب : ٣١٧/٩

٥٧- المفصل في تاريخ العرب : ٣١٤/٩

٥٨- ينظر الأغاني : ٨٥/٦، معجم الأدباء والمؤلفين : ٢٦٥/١٠

٥٩- ينظر طبقات فحول الشعراء : ٤٩/١

٦٠- البصائر والذخائر : ٣ / ١١٨-١١٩ ينظر قطب السرور في أوصاف الخمور : ٣٠٧، ربيع الأبرار : ٢ / ٦٣٣

٦١- ينظر طبقات فحول الشعراء : ٤٨/١، وينظر المزهر : ١ / ١٧٦

٦٢- ينظر شرح ديوان الحطيئة : ١٢٥-١٣٠

٦٣- ينظر شرح ديوان الحطيئة : ١٣

٦٤- ينظر الأغاني : ١٧٦/٢

٦٥- ينظر الأمالي : ٥٥/١

٦٦- ينظر الحماسة البصرية : ١٦٠/١

٦٧- ينظر اللسان والتاج : مادتي (سلم، جدل) على التوالي

٦٨- ينظر المعرب : ١١

٦٩- ينظر المزهر : ١١

٧٠- ينظر اللسان مادة : (زلم)

٧١- ينظر الأغاني : ١٧٥/٢

٧٢- ينظر اللسان مادتي : (زجر، زلم)

٧٣- ينظر سمط اللالئ : ٦٨٨-٧٠٠

٧٤- الأغاني : ٦ / ٨٨

٧٥- الأغاني (طبعة ساسي) : ١٦ / ١١٧

٧٦- ينظر مراتب النحويين : ٧٢

٧٧- ينظر م . ن : ٧١

٧٨- ينظر الأغاني : ٧٠/٦

٧٩- ينظر معجم الأدباء والمؤلفين : ٢٦٥/١٠

٨٠- ينظر م . ن : ٦٨/١١

٨١- ينظر الأغاني : ٩٣/٦

٨٢- طبقات فحول الشعراء : ٤٨/١

٨٣- المصون في الأدب : ٥

٨٤- ينظر م . ن : ٦

٨٥- الأغاني : ٩/١٨ ؛ خزانة الأدب : ١/ ١٠٧

٨٦- خزانة الأدب : ١٠٧/١

٨٧- الخصائص : ٣٨٨/١ ؛ العقد الفريد : ٣٢٩/١

٨٨- طبقات فحول لشعراء : ٢٥/١

٨٩- المزهر : ١/ ١٧٦

٩٠- تراجع الفصحة ٢٢ وما بعدها من هذا الكتاب .

٩١- طبقات فحول الشعراء : ٤٨/١ _ ٤٩

٩٢- طبقات فحول لشعراء : ٤٨/١ يلاحظ الهامش

٩٣- أخلت رواية ديوان طرفة بن العبد بالبيتين

٩٤- العقد الفريد : ٦ / ١٢١

٩٥- مراتب النحويين : ٢٧

٩٦- مجالس العلماء للزجاجي : ٦٩

٩٧- حلية المحاضرة : ٢ / ٣٩

٩٨- الخصائص : ٣ / ٣١٠

٩٩- شرح مقصورة ابن دريد : ٥٢٢

١٠٠- الأغـاني : ٦/ ٨٠

١٠١- أمالي المرتضى : ١ / ١٢٧ . ١٢٨، وينظر ديوان المعاني لأبي هلال العسكري : ١ / ١٨١ إذ كانت هناك خصومة بين بشار بن برد وحمّاد عجرد، وهذا يؤكد أنَّ المقصود هو حمّاد عجرد وليس حمّاد الراوية .

١٠٢- أمالي المرتضى : ١ / ١٣٢

١٠٣- الأغانـي : ٦ / ٨٥ – ٨٦

١٠٤- ديوانه : ٤ / ٤٤، وقد أكد ابن خلكان صحة ذلك ، وفيات الأعيان، ينظر : ٢ / ٢١١، لكنَّ الجاحظَ توهم فقال حمّاد عجرد يهجو حمّاد الراوية، ينظر الحـيوان : ٤ / ١٤٢

١٠٥- أمالي المرتضى : ١ / ٢١

١٠٦- م . ن والصفحة نفسها

١٠٧- أكمل دراسته في الماجستير في جامعة لسوربون، فيما أكمل دراسته في الدكتوراه في جامعة مونبيله .

١٠٨- بعثُ الشعر الجاهلي : ٩٢ – ٩٩

١٠٩- معجم الأدباء والمؤلفين : ١٤٥/٤، وفيات الأعيان : ٢٠٥/٢، شرح القصائد التسع المشهورات : ٦٨٢

١١٠- بعثُ الشعر الجاهلي : ٩٣ – ٩٥

١١١- ينظر بحثي الموسوم (شعر زهير بن أبي سلمى في مرويات حمّاد الراوية) .

١١٢- ينظر شرح ديوان الحطيأة : ١٣

١١٣- ينظر مراتب النحويين : ٧٢

١١٤- ينظر طبقات النحويين واللغويين : ٣٧، مراتب النحويين : ٧١

١١٥- ينظر مراتب النحويين : ٧١ ؛ تاريخ الأدب العربي حتى آخر القرن الهجري الثالث : ٢٠٧

١١٦- الأغاني : ٦ / ٩٠

١١٧- ينظر مراتب النحويين : ٧١

١١٨- ينظر م . ن : ٧٢

١١٩- ينظر نزهة الألباء : ٣٧

١٢٠- معجم الأدباء والمؤلفين : ١٤٥/٤، وفيات الأعيان : ٢٠٥/٢، شرح القصائد التسع المشهورات : ٦٨٢

١٢١- شرح ديوان الحطيأة : ٣١٠ – ٣١١

١٢٢- م . ن : ٣١٣

١٢٣- ديوان المعاني : ٢ / ١٩٨

١٢٤- ينظر مختارات أشعار العرب : ٤١٠–٤١١

١٢٥- ينظر مختارات أشعار العرب : ٤٢٢–٤٢٣ ؛ وينظر ديوان الحطيأة : ٤٨ ورواية حمَّاد الراوية هي المعتمدة في الديوان المحقق، وكذلك ينظر الهامش الأول في ديوان الحطيأة : ٤٥

١٢٦- ينظر مختارات أشعار العرب : ٤٤١

١٢٧- ينظر شرح ديوان الحطيأة : ٦٨

١٢٨- ينظر مختارات أشعار العرب : ٤٥٦

١٢٩- ينظر شرح ديوان الحطيأة : ٩٠

١٣٠- ينظر م . ن : ٧٦، ٧٧، ٧٩

١٣١- المزهر : ٢ / ٤٠٦

١٣٢- خزانة الأدب : ٤ / ٢٩

١٣٣- ينظر المؤتلف والمختلف : ٢٢

١٣٤- ينظر م . ن والصفحة نفسها

١٣٥- الهوية القومية للأدب العربي : ٥٢

المصادر والمراجع :

- ابن خالويه وجهوده في اللغة (شرح مقصورة ابن دريد) – تحقيق د.محمود جاسم درويش، ١٩٩٠م، بغداد .
- الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني، مصورة دار الكتب المصرية، د.ت .
- الأغاني – طبعة ساسي .
- الأمالي – لأبي علي القالي، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م .
- امالي الشريف المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ) . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، مصر، ١٣٧٣هـ. ١٩٥٤م .
- البصائر الذخائر – أبو حيان التوحيدي، تحقيق د.وداد القاضي، دار صادر، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، بيروت .
- بعثُ الشعر الجاهلي – الدكتور محمد مهدي البصير – مطبعة التفيض الأهلية ؛ ١٩٣٩م ؛ بغداد .
- تاريخ آداب اللغة العربية . جورجي زيدان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت .
- جهود أبي علي المرزوقي في الرواية والنقد واللغة – رسالة دكتوراه، للسيد زكي ذاكر العاني، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد .
- حلية المحاضرة من صناعة الشعر – أبو علي محمد بن عبدالحسن بن المظفر الحاتمي، تحقيق د٠جعفر الكناني، دار الرشيد، (د.ت).
- الحماسة البصرية – لصدر الدين بن أبي الفرج، حيدر آباد، الهند، ١٩٦٤م .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – عبدالقادر البغدادي (ت ١٩٠٣هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م .

- الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ) تحقيق محمد علي النجار، ط٢، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م، مصر .
- ديوان بشار بن برد – جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م .
- ديوان المعاني – للإمام اللغوي والأديب أبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، عالم الكتب، ١٣٥٢هـ – ١٩٣٣م، مصر .
- ديوان المفضليات – الأنباري، ١٩٢٠م، بيروت .
- ربيع الأبرار – الزمخشري (ت٥٣٨هـ) تحقيق د.سليم النعيمي، ١٩٨٢م، بغداد .
- سمط اللآلئ – لأبي عبيد البكري، تحقيق عبدالعزيز الميمني، مصر، ١٩٣٦م .
- شرح ديوان الحطيئة – تحقيق د. نعمان أمين طه، ط١، ١٩٨٧م، القاهرة .
- شرح ديوان زهير – صنعة ثعلب، طبعة دار الكتب، ١٩٤٤م، مصر .
- شرح شواهد المغني – للسيوطي، تصحيح وتعليق الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي، لجنة التراث العربي .
- شرح القصائد التسع المشهورات – أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس .
- الشعر والشعر . لابن قتيبة، (ت٢٧٦هـ) تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ١٩٨٢م، القاهرة .
- طبقات فحول الشعراء – لمحمد بن سلام الجمحي، قراءة وشرح محمود محمد شاكر، مصر، د.ت .
- طبقات النحويين واللغويين . لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، القاهرة، د.ت .
- العقد الفريد – أحمد بن عبدربه، تحقيق د.عبدالمجيد الترحيني، ١٩٨٧م، بيروت .
- الفهرست – للنديم أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق، تحقيق رضا تجدد، د.ت .

- قطب السرور في أوصاف الخمور – الرقيق النديم ابراهيم بن القاسم، تحقيق أحمد النجدي، ١٩٦٩م، دمشق .
- كتاب الأزمنة والأمكنة – الشيخ أبو علي المرزوقي، دار الكتاب الإسلامي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت .
- مجالس العلماء – الزجاجي، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ١٩٨٣م، القاهرة .
- مختار الشعر الجاهلي – لهبة الله بن علي أبو السعادات العلوي المعروف بابن الشجري، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع، الفجالة، القاهرة، ١٩٧٥م.
- مختارات أشعار العرب –لأصمعي عبدالملك بن قريب (ت٢١٦هـ)، شرح وترتيب عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة،ط٤، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م القاهرة .
- مراتب النحويين – أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة نهضة مصر، ١٩٥٥م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها – للسيوطي، شرح وتعليق محمد جاد المولى وزملائه، ١٩٨٦م، بيروت .
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية . د.ناصر الدين الأسد، دار المعارف، ط ٣، ١٩٦٦م، القاهرة .
- المصون في الأدب . أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري . تحقيق عبدالسلام هارون، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠م .
- المعارف – محمد بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) تحقيق وتقديم ثروت عكاشة، منشورات الشريف الرضي، ط١، ١٤١٥هـ، مصر.
- معجم الأدباء والمؤلفين – لياقوت الحموي، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٠م، القاهرة.
- معجم لسان العرب – لابن منظور، أعاد بناءه على الحرف من الكلمة يوسف خياط ونديم المرعشلي، بيروت، د.ت .

- المعرب من الكلام الأعجمي على حرف المعجم – لأبي منصور الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، ١٩٦٩م .
- المؤتلف والمختلف – للآمدي، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦١م، القاهرة .
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء – لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، مصر، د.ت .
- وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان – لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٤٨م، القاهرة.
- الهوية القومية للأدب العربي – أ.د.محمود عبدالله الجادر، مجلة المورد، المجلد الثامن والعشرون، العدد الرابع، لسنة ٢٠٠٠م – ١٤٢١هـ .

الفصل الثاني

حمّادُ الراوية : آثارهُ وآراؤهُ النقديةِ وأخبارُهُ

المبحث الأول : آثـــارُهُ

المبحث الثاني : آراؤُهُ النقديةِ

المبحث الثالث : أخـبارُهُ

حمّادُ الراوية : آثارُهُ وآراؤُهُ النقديةِ وأخبارُهُ

المقدمة : حمّادُ الراوية : هو حمّادُ بن سابور بن المبارك بن عبيد، المكنى بأبي القاسم (١)، وقال ابن قتيبة (٢) : (إنّهُ حمّادُ بن هرمزان)، فيما قال ياقوت الحموي (٣) : (إنّهُ حمّادُ بن ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمي، مولى بني بكر بن وائل، وقيل مولى مكنف بن زيد الخيل)، وقال الأصمعيُ (٤) : (قلتُ لحمّاد ممن أنتمْ ؟ قال : كانَ أبي من سبي سلمان بن ربيعة، فطرحنا لبني شيبان، فولاؤُنا لهم، وأضاف الأصمعيُ : وكان أبوه يُسمى ميسرة، ويكنى أبا ليلى)، وبذلك فأنّ حمّادَ الراوية ينحدرُ من أصلٍ غيرِ عربٍي، فهوَ من قبيلة الديلم الفارسية، ولكنَّ ثقافتهُ عربيةٌ اسلاميةٌ، وهو عربيٌ بالولاءِ، لكونهِ مسلماً ينطقُ الشاهدتين (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) ويتكنى بأحلى الكُنى، كنيةُ رسول الله محمد، صلى الله عليه وآله وسلم (أبو القاسم)، وقد منحهُ اللهُ سبحانهُ وتعالى: لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، وفكراً ثاقباً حتى أصبحَ أشهر رواة الشعر العربي، فهو كبيرُ رواة الشعر العربي، وراويته الأول، ولم يلقب أحدٌ من رواةِ الشعر العربي بالراوية غيرُهُ، وذلكَ لكثرةِ ما كان يحفظُ ويروي، وقد سأله الوليد بن يزيد قائلاً (٥) : (بمَ استحققتَ هذا اللقبُ ؟ فقيلَ لكَ حمّادُ الراوية؟ قال : بأنّي أروي لكلّ شاعرٍ تعرفُهُ يا أميرَ المؤمنين، أو سمعتَ بهِ، ثم أروي لأكثر منهم ممنْ تعرفُ أنَّكَ لم تعرفه، ولم تسمع به، ثم لا أنشدُ شعراً قديماً أوْ محدثاً إلا ميزتَ القديمَ منهُ من المحدثِ، قال : إنَّ هذا لعلم وأبيكَ كثير!، فكمْ مقدارُ ما تحفظ ؟ قال : كثيرٌ، ولكني أنشدُكَ على أيِ حرفٍ من حروفِ المعجمِ مائة قصيدةٍ كبيرةٍ سوى المقطعاتِ من شعرِ الجاهليةِ، دونَ شعرِ الإسلامِ، قال سأمتحنُكَ في هذا، وأمرهُ بالإنشادِ، فأنشدَ الوليدَ حتى ضجرَ، ثُمَّ وكلَ به من استخلفه أنْ يصدقه عنه ويستوفي عليه، فأنشدهُ ألفينِ وتسعمائةِ قصيدةِ للجاهليين، وأُخبِرَ الوليدُ بذلك، فأمرَ لهُ بمائةِ ألفِ درهمِ) . وفي رواية ثانية قال الوليد بن يزيد لحمّاد (٦) : (أنتَ حمّادُ الراوية ؟ فقلت له : إنَّ الناس ليقولونَ ذلك، قال فما بلغَ من روايتك ؟ قلتُ أروي سبعمائة قصيدةٍ أولَ كلّ قصيدةٍ منها : بانتْ سعادُ، فقال : إنَّها لرواية !) وقبلَ ذلك كان حمّادُ الراوية في شبابهِ مصاحباً للصوصِ، ويشاطرُهم أفعالهم، وفي ذاتِ ليلةٍ، نقبَ على بيتِ رجلٍ من أبناءِ الأنصارِ، فاخذَ ماله، وكان فيه جزءٌ من شعرِ الأنصارِ، فقرأهُ حمّادٌ واستحلاهُ وحفظهُ، و بعدَ هذه الحادثة، طلبَ الأدبَ والشعرَ وأيامَ العربِ ولغاتها ؛ وتركَ بعد ذلك ما كان عليه، فبلغَ في العلمِ ما بلغ (٧)

وكان ذلك الشعر يمثلُ نقطةُ التحول الحاسمة في حياةِ حمّاد الراوية، إذ تحولَ من اللصوصيةِ والصعلكةِ إلى روايةِ الشعر بعد أنْ ثابَ الى رشدهِ، وتابَ الى ربهِ سبحانَهُ وتعالى، وعبر قناة حمّاد الراوية، وصلنا معظمُ الشعر العربي من عصر الرواية الشفوية إلى عصر التدوين، ومع ذلك لم يكنْ حمّاد الراوية مجرد راوية ناقلًا للشعرِ فحسب، بل كان ناقدًا مقدمًا وذواقةً لفنِ الشعر، يعجبهُ الشعر الجيد فيرويهِ، ولهُ فيه أحكامٌ نقديةٌ ، مبثوثةٌ في أثناء المصادر، فضلًا عن كونه كان أعلم الناس في أخبارِ العربِ وأنسابها وأشعارها وأيامها (٨)، ومحمد بن سلّام الجمحي يؤيد صحة هذا الرأي ويرويه، ولكن بطريقته الخاصة (٩) : (أول من جمع أشعار العرب وساق الأحاديث حمّاد الراوية، وكان غير موثوقٍ، وكان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار) فالشطرُ الأولِ من حديثِ محمد بن سلّام الجمحي صحيحٌ مائة بالمائة، وهو كلمةُ حقٍّ يراد بها باطل، ومحمد بن سلّام الجمحي ، لا يريد الأمر أنْ يمر مرور الكرام، من غير أنْ يقدحَ على حمّاد الراوية، فأضاف الشطر الثاني من الحديث، وهو بذلك يدسُّ السُمَّ بالعسلِ، والله أعلم، وما قالهُ محمد بن سلّام الجمحي، لا يمكن التسليم بصحتهِ وتصديقهِ، لأنَّ أبا أحمد الحسن بن عبدالله العسكرى، روى ما نصَّهُ (١٠) : (لم يكنْ نقادنا يحسنون قول الشعر، كالخليل بن أحمد ؛ وحمَّاد الراوية ؛ والأصمعي)، وحمّاد الراوية شاعرٌ ولكنْ من شعراء الطبقة الوسطى ، الذين لا يرقى شعرُهم إلى مستوى الشعراء الفحول، فكيف إذًا يقولُ الشعر الجيد، وينسبهُ لغيرهِ من الشعراء الفحول ؟ فحمّادُ الراوية حينما يروي القصائد، يذكرُ أسباب نظمها، والأحداث التي رافقت إنشادها، في مسعىً يظهر وثاقة روايته، فهو إذا يوثقُ الحدثَ الشعري من طرفيهِ، ومحيطه الذي يؤكد أحداثه التي اتصلت به، وانبثق منهاً وواقعًا، ليقتنعَ المتلقي والناقد بصحة الرواية وصدقها، لذلك كانت مروياته تلقى قبولًا حسنًا عند النقاد والرواة، ولم يكتفِ حمّاد برواية الشعر، بل دونه في الرقوق والقراطيس حتى صنع مكتبةً ضخمةً ؛ ضمت كلَّ ما كان يحفظ، وكانتْ له مُصنفات متعددة في الشعر ؛ أصبحت فيما بعد المصدر الرئيس الذي ينهلُ منه رواةُ الأشعار والاخبار والنقد، حينما كتبوا مصنفاتهم، ومجاميعهم الشعرية، وسأسوقُ مثالين على ذلك، فقد روي أنَّ الوليد ابن يزيد حينما أراد أنْ يجمع أشعار العرب وأخبارها وأنسابها ولغاتها في ديوانٍ واحدٍ، استعار من مكتبة حمَّاد الراوية ما كان فيها من الرقوق والقراطيس، فدونها عنده ومن ثم أعادها إليه (١١)، وأما المثال الثاني، فهو أنَّ مكتبتهُ كانت عامرةٌ

بكتبِ الأدبِ والأنسابِ وأيام العرب ولغاتها، فقد قال حمّاد الراوية (١٢) : (أرسل الوليد بن يزيد إلي بمائتي دينار، وأمر يوسف بن عمر بحملي إليه على البريد، قال : فقلت لا يسألني إلا عن طرفيه قريشٍ وثقيفٍ (أعمامه وأخواله) فنظرت في كتابي قريشٍ وثقيفٍ، فلما قدمتُ عليهِ سألني عن أشعارِ بلي، فأنشدته منها ما استحسنه) .

المبحثُ الأول : آثــارُهُ:

كانتْ لحمّاد الرواية جولاتٌ وسفراتٌ كثيرةٌ الى الجزيرة العربية موطن القبائل العربية فيبقى أيامًا بل شهورًا يلتقي في اثنائها بالشعراءِ والرواةِ، وأولادِ الشعراء وأحفادِهم يسمعُ منهم، ويتبادلُ معهم الآراءِ والأخبارِ بشأن القصائد ومناسباتها وما أحاطَ بها ثُمَّ يعودُ الى الكوفة ؛ ولا يمكثُ إلا يسيرًا حتى يعاودُ رحلاته من جديدٍ، وقد أثمرتْ تلك الرحلات عن جمعِ تراثٍ كبيرٍ، ثُمَّ تفرغَ حمّادُ الراوية لتدوينه خوفًا عليه من الضياع بعد وفاته، ووفاة الرواة والشعراء فتنطوي صفحة الشعر العربي في صدورهم وتضيع، لذلك دون كل ما كان يحفظ في رقوقٍ وقراطيسٍ لتبقى من بعده للأجيال اللاحقة وإليك أهم مصنفات حمّاد الراوية التي وقفت عليها في اثناء هذه الدراسة :

أولاً : أشعار العرب

هو كتابٌ عامٌ، دونَ فيه حمّادُ الراوية كلَّ ما كان يحفظ من أشعار العرب قيل الإسلام وفي الإسلام مما كان يرويه، وهذا الكتاب هو اكبرُ مصنفاته وأهمها على الإطلاق ؛ والكتابُ مع الأسف فُقِدَ مع ما فُقِدَ من كتبِ التراثِ الأدبي العربي، ولكنَّ لحسن الحظ فأنَّ نسخًا من الكتاب كانت متداولة بين أيدي الرواة والنقاد، منذ الظهور الأول للكتابِ على مسرحِ روايةِ الشعر العربي القديم والإسلامي، وقد أشارت إلى ذلك المصادر القديمة ومنها ما يأتي :

١ – نسخةٌ من الكتابِ كانت عند العالم الراوية أبي العباس ثعلب، دلتْ عليها روايته لقصيدة زُهير بن أبي سلمى ذات المطلع (١٣) :

ويومَ تلافيتُ الصبا أنْ يفوتني برحبِ الفروجِ ذي محالٍ موثقِ

فقد قال محقق ديوان زُهير بن أبي سلمى (١٤) : (هذه القصيدة رواها ثعلب نقلاً عن كتاب حمّاد)، والقصيدة رواها أيضا المفضل الضبّي، فقد قال ثعلبٌ : (ولم يروِها المفضلُ من كتابِ حمّاد، وقرئتْ على أبي عمرو الشيباني) ولم يعترضْ عليها، وهذا يؤكدُ صحة رواية القصيدة، وفي الوقت نفسه يؤكد أنَّ المفضلَ الضبّي صنع نسخةً أخرى من ديوان زُهير بن أبي سلمى .

٢ – نسخةٌ من الكتاب عند العالم الراوية صعوداء، ففي شرحه للبيت الثاني من قصيدة زهير بن أبي سلمى (١٥) :

سديسٌ كُبارى تئطٌ نسوعهُ أطيطٌ رتاجٌ ذي مساميرَ مغلقِ

قال صعوداء (١٦) : (الرواةُ على كُبارى بالباء، فقال حمّاد : كُبارى، كبيرٌ ضخمٌ، كذلكَ قرأته في كتابهِ وبخطهِ)، وهذا يعني أنّ النسخة التي كتبها حمّادُ الراوية بخطِ يدهِ، كانتْ بحوزةِ العالم الراوية صعوداء .

٣ – نسخةٌ أخرى من الكتابِ كانت بحوزةِ العالم النسابة الراوية هشام بن محمد الكلبي، فقد ذكر حين أوردَ قصيدةً لعامر بن الطُفيل العامري فقال (١٧) : (أصبتها في كتابِ حمّاد خلاف روايتنا)، وقال أبو الفرج الأصفهاني ، حينما ذكر خبر هوذة بن علي، وبني تميم في قصة عير النبع المعروفة (١٨) : (وأما ما وُجدَ عن ابن الكلبي في كتابِ حمّادِ الراوية : فإنَّ كسرى بعثَ إلى عاملهِ باليمن، بعيرٍ وكانَ باذامُ على الجيشِ الذي بعثه كسرى إلى اليمن، وكانت العيرُ تحملُ نبعًا ... الى آخر الخبر) .

٤– نسخةٌ من الكتابِ، كانت عند ابن الشجري، ذكرها حينما شرحَ شعراً للحطيأة فقال (١٩) : (وفي كتابِ حمّاد الراوية، زيادة في هذا الموضع بيتان) وهذا يعني أنَّ ابن الشجري كانَ يقرأُ في كتابِ حمّاد الراوية، ويجري المقابلات بين الرواياتِ المختلفة ؛ فوجد الزيادة، فأضافها الى روايته، وأثبتها في الديوان .

٥ – ذكر ابن الشجري خبراً مفاده أنَّ أبا حاتم السجستاني قال (٢٠) : (في كتابِ حمَّادٍ، زيادة بعد هذا البيت، أربعة أبيات) وذلك في روايته لإحدى قصائد الحطيأة)، وهذا يعني أنَّ السجستاني كان يمتلك نسخة من كتاب حمّاد الراوية يقابل بها الأشعار التي كان يرويها، ويقرأ ما فيها من الأشعار، ليسدُ ما في روايته من نقصٍ وخللٍ .

٦– نسخة من الكتاب كانت عند أبي سعيدٍ السُكري (٢١)، ففي روايته لشعر الحطيأة، ذكر قصائدَ ومقطعاتٍ، لم ترِدْ في رواية ابن السكيت، منها القطعة الآتية في قوله على سبيل المثال لا الحصر : هي في رواية حمّاد الراوية ولم يروها أبو عبدالله :

١– أخو ذبيانَ عبس ثم مالتْ بنو عبسٍ إلى حسبٍ ومالِ

٢– فما إنْ فضلُ ذبيانَ علينا بشيءٍ غيرَ أقوالِ الضلالِ

لم يمله أبو جعفر من ها هنا إلى آخر الجزء، وكتبه أبو سعيد من كتابه .

٣– سوى أنْ أقدموا وحظوا علينا كما تحظى اليمينُ على الشمالِ

٤– تنوطنا بذبيانَ عزيز علينا مثلُ أثقالِ الجبالِ

وعبارة وكتبه أبو سعيد من كتابه، إشارة صريحة الى أنَّ السكري كان ينقل روايته من كتابِ أشعار العرب لحمّاد الراوية، ومما يؤكدُ صحة ذلك قول السكري نفسه معلقاً على هذا البيت (٢٢) : لم يردْ إلا في كتاب حمّاد الراوية، والبيت هو :

لعمري لنعم المرءُ لا متهاونٌ عن السَوْرةِ العُليا ولا متخاذلُ

ثُمَ أردفَ السُكري هذا البيت بالبيت الآتي الذي انفردَ بروايته :

تكادُ يداهُ تُسلمانِ رداءهُ من الجُودِ لمَا استقبلتهُ الشمائلُ

والبيتان في ديوانه، وهما ضمن القصيدة ذات المطلع :

أرى العيرَ تُحدى بين قنٍ وضارجٍ كما زالَ في الصُبحِ الأشاءُ الحوملُ

ثانياً : أشعار الرّباب

الرّبابُ تجمعٌ قبلي ينحدرُ من أصلٍ واحدٍ، وتجمع الرباب ضمَ كلٍ من : تيم، وعدي، وعُكل، ومُزينة، وضبّة، وإنما سموا بالرّباب لأنهم تحالفوا فقالوا : اجتمعوا كاجتماع الربابة (٢٣)، ففي القرن الهجري الثاني نشط العلماءُ والرواةُ ودونوا أشعار القبائل العربية، فذكر الآمدي في كتابه المؤتلف والمختلف، أكثر من ستين ديواناً للقبائل العربية، وقد أحصاها د.ناصر الدين الأسد في كتابهِ مصادر الشعر الجاهلي، وقيمتها التاريخية (٢٤)، كما كتب السُكري، أكثر من ثلاثين ديواناً ذكرها ابن النديم في الفهرست (٢٥)، أما أبو عمرو الشيباني، فقد كتب بخطِّ يده أكثر من ثمانين ديواناً (٢٦)، كما أسهم العلماء والرواة الآخرون بكتابة دواوين أخرى وجمعها (٢٧)، فيما صنعَ حمَّاد الراوية والمفضل الضبّي ديوان الرباب، والديوان ذكره الآمدي مع ما ذكر من دواوين القبائل، في قوله (٢٨) : (ووجدتُ في أشعارِ الرباب، عن المفضل وحمّاد الراوية) وهذا يعني أنَّ الآمدي كان يمتلك نسخة من الديوان، وهنا أتساءل هل كانتْ صناعةُ ديوان الرّباب مشتركة بين المفضل الضبّي ، وحمّاد الراوية ! فإن كانتْ كذلك، فهذا يعنى أنَّهُ كان بينهما تعاونٌ مشتركٌ في رواية الشعر، ونحنُ نقدح بهما ! أمْ هل كلَّ واحدٍ

منهما، صنع نسخةً من الديوان، ذلك لأنَّ عبارة الآمدي مُبهمة وغامضة ، وتحمل الوجهين ، والكتاب هو الآخر مفقود .

ثالثاً : كتابُ القصائد المشهورات (المعلقات)

وهو كتابُ المعلقات السبع التي اختارها حمّاد الراوية، فقد قال ابن الأنباري (٢٩) : (إنّ حمّادَ الراوية لما رأى زهد الناس في حفظ الشعر، جمع هذه السبع، وحضهم عليها، وقال لهم: هذه المشهورات) ومصطلح المشهورات – أولُ اسمٍ عُرفتْ به المعلقات – وحمّادُ الراوية هو أولُ من أطلقهُ على هذه القصائد المشهورات، وبهذا الاسم اشتهر كتاب المعلقات السبع، وهي أشهر قصائد الشعراء الجاهليين وأعظمها شأناً وأعلاها منزلةً في أدبهم وتاريخهم (٣٠)، أما ابن النحاس فقد قال (٣١) : (إنّ حمّادَ هو الذي جمعَ السبع الطوال)، وكذلك مصطلحُ الطوال، هو من بناتِ أفكارِ حمّاد الراوية، وقد أخذ معظم رواة المعلقات برواية حمّاد الراوية(٣٢)، والقصائد التي اختارها حمّاد الراوية هي : معلقةُ امرئ القيس، ومعلقة طرفة بن العبد، ومعلقة زهير بن أبي سلمى، ومعلقة لبيد بن ربيعة، ومعلقة عمرو بن كلثوم ، ومعلقة عنترة بن شداد، ومعلقة الحارث بن حلزة اليشكري على التوالي .

رابعاً : ديوان امرئ القيس

جمعَ شعرَ امرئ القيس كلٌّ من الرواة ((حمّاد الراوية، أبو عمرو الشيباني، المفضل الضبّي، خالد بن كلثوم، الأصمعي، محمد بن حبيب، أبو العباس الأحول، ابن السكيت وغيرهم))، ثم صنعه أبو سعيد السكري في رواية موحدة من جميع الروايات، وكانَ حمّادُ الراوية، هو الراويةُ الأول، وعنه أخذَ الرواةُ الآخرون شعر امرئ القيس، وقد أكد هذه الحقيقة العالم الراوية أبو سعيدٍ عبدالملك بن قُريب الأصمعي في قوله (٣٣) : (كل شيءٍ في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حمّاد، إلا نتفاً سمعتُها عن أعرابٍ، وأبي عمرو بن العلاء)، وحينما عدت إلى ديوان امرئ القيس الذي حققهُ الأستاذُ محمد أبو الفضل إبراهيم، وجدت الأصمعيَ كان صادقاً فيما قال قال وروى، إذ لم ترِدْ في ديوان امرئ القيس روايةً لأبي عمرو، إلا في ثلاثة مواضع هي :

١- في القصيدةِ الحادية عشرة من الديوان التي تتكون من ثلاثة عشرَ بيتاً، قال ابن النحاس: أنشدها الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء (٣٤) .

٢- في القصيدةِ الثانية عشرة من الديوان وهي تتكون من ثلاثة عشرَ بيتاً أيضاً، قال الأصمعيُ : سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول : رؤبة بن العجاج أنشدَ من هذه القصيدة أبياتاً (٣٥) .

٣- في القطعةِ المرقمة السابعة والعشرين من الديوان ؛ وهي تتكون من ثمانيةِ أبياتٍ، كان الأصمعي يُحدثُ عن أبي عمرو بن العلاء، وأنّه سألَ ذا الرمّة فقال : أيُّ الشعراء الذين وصفوا الغيثَ أشعر ؟ فقال : قول امرئ القيس، فقال أبو عمرو فأنشدني قوله (٣٦) :

ديمةٌ هطلاءٌ فيها وطفٌ طبقُ الأرضِ تحري وتدرُ

وفيما عدا ذلك، لم أجد لأبي عمرو روايةً في ديوان امرئ القيس، وبذلك تكون رواية أبي عمرو بن العلاء في ديوان امرئ القيس، ثلاث قصائد في أربعة وثلاثين بيتاً فقط، ثُمَّ روى الأصمعي قائلاً (٣٧) : (قال أبو عمرو بن العلاء : كان امرؤ القيس معناً ضليلاً ينازعُ كلَّ من ادعى الشعر)، ثم ساقَ خبره مع التوأم اليشكري، إذْ كان امرؤ القيس يقول الشطر الأول، فيما يقول التؤم اليشكري الشطر الثاني :

قال امرؤ القيس :

أحارِ ترى بريقاً هبَّ وهن

فأكمل التوأم اليشكري البيت قائلا :

كنارِ مجوسٍ تستعرُ استعارا

إلى آخر الخبر .....

وبذلك تكون رواية شعر امرئ القيس كلها منقولة عن روايةِ حمّاد الراوية، كما قال الأصمعي.

خامساً : ديوان زهير بن أبي سلمى

شعرُ زهير بن أبي سلمى جمعَهُ حمّاد الراوية ؛ وعنه نقله الرواة الآخرون ، ففي ديوان زهير الذي صنعهُ وشرحهُ أبو العباس ثعلب (٣٨) إشاراتٍ صريحةٍ إلى ذلك، وكذلك في ديوانه الذي صنعهُ الأعلم الشنتمري (٣٩) والفصل الثالث من هذا الكتاب يتناول هذه القضية بالتفصيل،

والفصل يحمل عنوان ((شعرُ زُهير بن أبي سلمى في مرويات حمّاد الراوية))، وقد فصلت فيه رواية حمّاد الراوية لشعر زهير بن أبي سلمى أرجو قراءتها في موضعها من الكتاب .

سادساً : ديوان الحطيأة

ديوان الحطيأة (جرول بن أوس العبسي) جمعَ شعره حمّاد الرواية وصنع منه ديواناً، وعنه أخذه الرواة وصناع الدواوين، فقد استفاد من رواية حمّاد الراوية أبو سعيدٍ السُكري، كما أكد ذلك السُكري نفسه في روايته لديوان الحطيأة (٤٠)، ففي رواية أبي سعيدٍ السُكري لشعر الحطيأة، ذكر قصائدَ ومقطعاتٍ، لم ترِدْ في رواية ابن السكيت (٤١)، منها القطعة الآتية وهي من مرويات حمّاد الراوية ولم يروها أبو عبدالله :

١– أخو ذبيانَ عبس ثم مالتْ بنو عبسٍ إلى حسبٍ ومالِ

٢– فما إنْ فضلُ ذبيانَ علينا بشيءٍ غيرَ أقوالِ الضلالِ

لم يمله أبو جعفر من ها هنا إلى آخر الجزء، وكتبه أبو سعيد من كتابه

٣– سوى أنْ أقدموا وحظوا علينا كما تحظى اليمينُ على الشمالِ

٤– تنوطنا بذبيانَ عزيز علينا مثلُ أثقالِ الجبالِ

وعبارة وكتبه أبو سعيد من كتابه، إشارة صريحة الى أنَّ السكري كان ينقل أشعاره من ديوان الحطيأة الذي صنعه حمّاد الراوية، ومما يؤكدُ صحة ذلك قول السكري نفسه (٤٢) : لم يردْ هذا البيت إلا في رواية حمّاد الراوية، والبيت هو :

لعمري لنعم المرءُ لا متهاونٌ عن السَورةِ العُليا ولا متخاذلُ

ثُمَ أردفَ السكري هذا البيت بالبيت الآتي الذي انفردَ بروايته :

تكادُ يداهُ تُسلمانِ رداءهُ من الجُودِ لمَا استقبلتهُ الشمائلُ

والبيتان في ديوان الحطيأة المحقق، وهما من ضمن القصيدة ذات المطلع :

أرى العيرَ تُحدى بين قنٍ وضارجٍ كما زالَ في الصَبحِ الأشاءُ الحوملُ

المبحثُ الثاني : آراؤُهُ النقدية :

كان معظمُ الآراء النقدية في تلك المرحلة، تمثلُ نوعًا من النقدِ الانطباعي، ومعياره الذوق الأدبي لصاحب الحكم، فالعربُ كانت تقول : هذا أمدح بيت، وذاك أغزل بيت، وهذا أفخر بيت، وذاك أهجى بيت، وهذا الشاعرُ أشعرُ من ذاك، وفلان أشعر من فلان، وهذه الأحكام آنية تطلق بسرعة، وسرعان ما تتبدل بعض الأحكام بعد مدة زمنية وجيزة، ولم يخرج حمّاد الراوية في كثير من الأحيان عن هذا اللون، إلا أنَّ الملاحظ على حمّاد الراوية ؛ وعلى الرغم من كون إحكامه كانت انطباعية إلا أنها كانت متطورة، إذْ كانَ يلحقها بسببٍ معللٍ، يؤيدُ صحة ما يقول، فمن ذلك ما رُوِيَ عنه حينما زار البصرة (٤٣)، وحلَّ ضيفاً على مجلسِ بلالِ بن أبي بردة، فسأله رجلٌ من الجالسين : من أشعر الناس ؟ فأجاب حمّاد الراوية الذي يقول (٤٤) :

رمتني بناتُ الدهرِ من حيثُ لا أرى فما بالُ منْ يُرمى وليسَ برامِ

فلوْ أنهَّا نبلٌ إذاً لاتقيتهـــــا ولكنّني أُرمى بغيرِ ســـهامِ

فقد حكمَ حمّاد الراوية، لعمرو بن قميئة على وفق ذوقه الشخصي، وإعجابه بهذه القصيدة، والمعروف أنَّ عمرو بن قميئة، هو رأسُ الطبقة الثامنة في طبقاتِ فحول الشعراء الجاهليين عند محمد بن سلّام الجمحي، فضلاً عن كونه من الشعراء المجودين المقلين، ولا يرقى مستوى شعره إلى مستوى شعر امرئ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى ، والأعشى وغيرهم .

ولحمّاد الراوية رأيٌ نقديٌ آخر عن أشعر الشعراء، فقد روى يحيى بن سُليمان الكاتب أنَّهُ قال(٤٥) : (بعثني المنصور العباسي الى حمّاد الراوية، أسألهُ عن أشعر الناس، فأتيته وقلتُ : إنَّ أمير المؤمنين يسألك عن أشعرِ الناس ؛ فقال : ذاك الأعشى صناجتها)، والنقاد والرواة كافة، يجمعون على أنَّ الأعشى هو رابعُ الطبقة الأولى من الشعراء الفحول الجاهليين، بعد امرئ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، ولكنَّ هذا هو ذوق صاحب الحكم حمّاد الراوية ؛ إذ سبق وقال : عمرو بن قميئة أشعر الناس فقد تبدل رأيه الأول الذي قاله في العصر الأموي الى الرأي الثاني الذي قاله في العصر العباسي ؛ وهذا هو شأن النقد الإنطباعي ومعياره الذوق الشخصي لصاحب الحكم الذي لا يستقر على حال من الأحوال .

ومن آراءِ حمّاد الراوية النقدية المهمة قوله (٤٦) : (أحسنُ الجاهليةِ تشبيهًا امرؤ القيس، وذو الرمّةِ أحسنُ أهلِ الإسلام)، هذا الحكم لم يطلقه حمّاد الراوية جزافًا، ولكن أطلقه ، بعد إطلاعٍ تامٍ على كلِّ أشعارِ العرب الجاهليين والإسلاميين على حدٍ سواءٍ، وقد أجمع العلماءُ النقادُ والرواةُ على صحة هذا الحكم عن طريق الرواية محمد بن سلّام الجمحي نفسه، الذي أورد النصُّ السابق حرفيًا، إلا أنَّه لم يقلْ : قال حمّاد الراوية، وإنَّما قال (٤٧) : (كان علماؤُنا يقولون : أحسنُ الجاهليةِ تشبيهًا امرؤ القيس، وأحسنُ أهلِ الإسلام ذو الرمة)، والعلماءُ في حقيقة الأمر، كانوا يقولون برأي حمّاد الراوية، ولكنّ عصبية محمد بن سلّام الجمحي المفرطة، وانحيازه الكبير غير المسوغ، وغير المبرر إلى أهلِ البصرة منعهُ من قول الحقيقة، واسناد الرأي الى صاحبه الحقيقي، حمّاد الراوية .

وحينما أراد معاوية بن بكر الباهلي، وهو من رواة الشعر الجاهلي، معرفة أسباب تقديم الرواة والنقاد للنابغة الذبياني على غيره من الشعراء، فلم يجد معاوية غير حمّاد الراوية ليسأله عن سبب ذلك، فقد روى (٤٨) : (عمر بن شبة قائلاً : قال معاوية بن بكر الباهلي : قلتُ لحمَّاد الراوية : بمَ تقدمُ النابغة ؟ قال : باكتفائكَ بالبيتِ الواحدِ من شعره، لا بل نصفِ بيتٍ، لا بل ربعِ بيتٍ :

حلفتُ فلمْ أترك لنفسكَ ريبةً وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ(٤٩)

ألا ترى أنَّ هذا الحكم صادر عن ناقدٍ نافذِ البصيرةِ في الشعرِ ونقدهِ، وله إحاطةٌ واسعةٌ بأشعارِ العرب، حتى يتسنى لقائله إطلاقُ مثل هذا الحكم، والنقادُ والرواةُ يؤيدون صحة ذلك .

وهناك رأيٌ نقديٌ آخر لحمّاد الراوية، يتمثل في إعجابه بشعر الحطيأة الشاعر المخضرم، الذي لم يأخذ مكانته الأدبية، الطبيعية عند النقاد والرواة، الذين أهملوا شاعريته وتمسكوا بنسبه المغموز، فأراد حمّادُ الراوية أنْ يجعلَ الرجل في مكانه الذي يستحقه بين الفحول من الشعراء فقال (٥٠) : (أما أنّي ما أزعمُ أنّ أحداً بعدَ زهيرٍ أشعرُ من الحطيأة)، ألا ترى أنَّ حمّاد الراوية وضع الحطيئة بعد زهير، وليس بعد امرئ القيس، أو النابغة وهم فحول الطبقة الجاهلية الأولى، ذلك لأنَّ زهير بن أبي سلمى، هو ثالث الطبقة الأولى، وقريبٌ من هذا الرأي كان محمد بن سلّام، حينما وضع الحطيأة في الطبقة الجاهلية الثانية، وهذا يعني، ومن خلال الرأيان السابقان، أنَّ محمد بن

سلّام الجمحي كان متأثراً بروايات حمّاد الراوية وآرائهِ، وإن لم يقلها بصراحة لأنَّهُ كان يكابرُ، ولا يريدُ الإعلان عن هذا التأثر، لعصبيته المفرطة لأهل البصرة .

قال حمّاد الراوية (٥١) : (إنَّ ابن قيس الرُقيات رقيق حواشي الشعر)، وهذا الرأي صحيح لأنَّ ابن قيس الرُقيات، كان يتغزلُ برقةٍ متناهيةٍ بمحبوباتٍ كلهن يُعرفن باسم رُقية، لذلك عُرف بابن قيس الرُقيات، والرأي يتطابق مع شعره، ومع ما يتداولهُ الرواة والنقاد، وأضاف حمّاد الراوية قائلاً (٥٢) : (إذا أردتَ أنْ تقولَ الشعر، فأروِ شعر ابن قيس الرُقيات، فإنَّه أرقَّ الناس حواشيَ شعرٍ) .

ومن آراء حمّاد النقدية (٥٣) أنَّهُ كان يقدم الأخطل على غيره من شعراء طبقته وعصره، وقد أيد هذا الرأي خصمه اللدود يونس بن حبيب الضبّي (٥٤)، وكذلك أيدهُ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٥٥)، وقد سُئِلَ حمّادُ الراوية عن الأخطل فقال (٥٦) : (ما تسألوني عن رجلٍ، قد حَبَبَ شعرهُ إليّ النصرانية !) وهذا اللون من النقد يدخل في باب الأحكام النقدية الانطباعية، ومعيارها الذوق الشخصي لصاحب الحكم .

روى حمّاد الراوية شعر ثعلبة بن عمرو الشيباني (٥٧)، وكذلك رواهُ كل من المفضل الضبّي، وأبو سعيدٍ الأصمعي، وفي المواضع التي كانتْ تذكر فيها رواية حمّاد الراوية، تكون روايتهُ هي الأجود بين قريناتها من الروايات الأخرى، ففي البيت السابع من قصيدته ذات المطلع (٥٨) :

أ أسماءُ لم تسألي عن أبيـ.....ـكِ والقومُ قدْ كانَ فيهم خطوبُ

روى المفضل الضبّي :

فأعددتُ عجلى لحسنِ الدوا.....ءِ ولم يتلمسْ حشاها طبيبُ

أما رواية الأصمعي فكانتْ :

فأردفتهُ كصفاةِ المسـ.....ـلِ لم يتلمسْ حشاها طبيبُ

فيما كانتْ رواية حمّاد الراوية :

وأعددتُ عجلى لنقعِ الصبا....حِ ولم يتلمسْ حشاها طبيبُ

عجلى: هي فرس الشاعر، والنقع : هوالغبار المتطاير من تحت سنابك الخيل ، وهي تعدو مسرعةً، فلو أنعمت النظرَ في الرواياتِ الثلاث، لرأيتَ أنَّ المفضل أراد أنْ يقول : إنّ الفرسَ لم

تكن مريضةً، لذلك هي لم تُعرض على طبيب، والأصمعيُ قال : إنَّ تلك الفرس، مثل الصخرة حينما تشربُ الماءَ، وتصيبها الشمسُ، تصبحُ صلبةً، أما حمّاد الراوية فقد قال : إنَّ الفرس كانت معدةٌ للإشراكِ في التصدي للغاراتِ الصباحيةِ، وذلك حينما يأتي الصريخُ، منادياً واصباحاه، لذلك هي فرسٌ قويةٌ ، لم تمرضْ يومًا، ولم تعرض على طبيب، والسؤال هنا، لم يعدُ الفارس فرسه ؟ أ ليسَ للغاراتِ، أو لصدِّ الغاراتِ، وهذا المعنى هو الذي ذهبَ إليه حمّاد الراوية، أما البيت الحادي عشر من القصيدة فقد رواهُ المفضل الضبّيّ، والأصمعي كما يأتي :

أحالَ كفهُ بها مدبراً وهلْ يُنجيكَ شدٌ وعيبُ؟

فيما روى حمّاد الراوية البيت كالآتي :

أحالَ بها كفهُ مدبراً وهلْ يُنجيكَ ملْعٌ وعيبُ؟

أراد الرواة الثلاثة القول : إنَّ هذا الفارس لوى عنانَ فرسهِ، الذي كان يمسكه بيده الشمال، وولى هارباً من المعركة، وهل هذا الهربُ سينجي صاحبه من الموت ؟ وإنْ كانت الفرسُ مسرعةً ؛ فالشدُ عند المفضل، والأصمعي هو الضغط على الفرس، لكي تُسرعُ، أما الملعُ عند حمَّاد الراوية، هو أنَّ الفرسَ كانتْ مسرعةً من غير أنْ تتعرض للضغطِ من فارسها، وهذا المعنى، هو الذي ذهبتْ إليه أُمَ جندبٍ في حكومتها، حينما حكمتْ لعلقمة الفحل على زوجها امرئ القيس في القصة المعروفة، لذلك كانتْ روايةُ حمّاد الراوية هي الأجود .

ومثل هذا الرأي النقدي قال به ابن الشجري، وذلك حينما قرأَ رواية الأصمعي للبيت التاسع من القصيدة السينية، التي هجا فيها الزبرقان بن بدر (٥٩)، والرواية هي كما يأتي :

٩. ما كانَ ذنبُ بغيضٍ لا أبا لكمُ في بائسٍ جاءَ يحدو آخرَ الناسِ

فيما كانت رواية حمّاد الراوية للبيت نفسه كما يأتي :

٩ . ما كانَ ذنبُ بغيضٍ أنْ رأى رجلاً ذا فاقةٍ حلَّ في مستوعرٍ شاسِ

ابن الشجري بعد أنْ قرأَ الروايتين علقَ قائلًا (٦٠) : (وروايةُ حمّادٍ أجودُ، لئلا يتكرر الناس في القافية، فيكون إيطاءً قبيحًا)، وفعلاً بعد أربعة أبيات تجيءُ الناسُ، قافيةً للبيت الخامس عشر وهو :

١٥. منْ يفعلْ الخيرَ لا يعدم جوازيهُ لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ

وكلّ روايات الديوان أخذت برواية حمّاد الراوية وأثبتتها، فيما أهملتْ رواية الأصمعي، لأنَّ رواية حمّاد الراوية، هي الأجود والأفضل .

قال اسحق : حدثني الهيثم بن عدي عن حمّاد الراوية، أنَّهُ سُئِلَ عن شعر عمر بن أبي ربيعة فقال (٦١) : (ذاكَ الفسقُ المقشرُ)، ولكنَّ ابن عبد ربه الأندلسي قال بخلاف ذلك، إذْ روى أنَّ حمّاد الراوية قال (٦٢) : (ذلكَ الفستقُ المقشرُ، الذي لايُشبعُ منهُ)، ومثل هذا القول جاء في رواية ديوان الشاعر، لذا إنِّي أرجح أنَّ نساخ كتاب الأغاني قد قرأوا الفستق خطأً فقالوا : الفسق، أو ربما توهمَ محققُ أو ناشرُ كتاب الأغاني فقرأ الكلمة خطأً ؛ وهذا ما أرجحهُ ؛ وأميلُ إليه ؛ وبذلك تكون الرواية الأولى إنْ صحتْ هي قدحاً، فيما تكون رواية ابن عبد ربه الأندلسي، ورواية ديوان الشاعر مدحاً، وأنّي أقف الى جانب رواية ابن عبد ربه وديوان الشاعر .

قال أبو الفرج الأصفهاني : أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلّام عن سالم عن أبي السمحاء، وكان صاحب حمّاد الراوية، أنَّ حمّاد الراوية كان يقدم الأحوص في النسيب (٦٣)، وهذا هو رأي حمّاد الراوية وذوقه، والأحوص يُعد من الشعراء المقدمين في النسيب.

قال أبو الفرج الأصفهاني (٦٤) : (أخبرني وكيع عن حمّاد بن اسحق قال حمّاد الراوية : قَدِمَ علينا ذو الرمّة الكوفة، فلم أرَ أفصح، ولا أعلم منه بغريبٍ منه) وقال ابن كناسة (٦٥) : قال لي حمّاد الراوية : ما أخرَ القومُ ذكره إلا لحداثةِ سنهِ، وأنهم حسدوه)، وعنى بذلك ذو الرمّة، وهذا يعني أنَّ ذا الرمة كان يستحق أنْ يكون في درجةِ الفرزدق وجرير، وهو رأيٌ صائبٌ، ومصداق ذلك أنَّ محمدَ بن سلّام الجمحي قد وضعه في الطبقة الإسلامية الثانية من الشعراء الفحول .

ومن آراء حمّاد الراوية النقدية هو ما رواهُ أبو الفرج الأصفهاني قائلاً (٦٦) : (أخبرني عمي، قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي عن حمّاد الراوية قال : أتيتُ الفرزدق فأنشدني، ثم قال لي : هل أتيتَ الكلبَ جريرًا ؟ قلتُ : نعم، قال : فأنا أشعرُ أم هو ؟ فقلتُ : أنتَ في بعضِ الأمرِ، وهو في بعضٍ، قال : لم تناصحني ؟ فقلتُ : هو أشعرُ إذا أرخى خناقهُ، وأنتَ أشعرُ منه إذا خفتَ أو رجوتَ، فقال : وهل الشعرُ، إلا في الخوفِ، والرجاءِ، وعند الخيرِ، والشرِ) . ألا ترى أنَّ حمّاد الراوية، كان عادلاً ومنصفاً في حكمه غيرُ منحازٍ الى طرفٍ على حساب طرف على الرغمِ من كونهِ كان يحلُّ ضيفاً على الفرزدق، وأما إجابة الفرزدق، فهي من ضوابط قول الشعر الجيد .

قال السيوطي (٦٧) : وفي فوائد النجيرمي بخطِّهِ : قرأَ رجلٌ على حمَّاد الراوية شعرَ الشماخ فقرأ :

تلوذُ ثعالبُ الشرفينَ منها كما لاذَ الغريمُ في التبيعِ

فقال هو السرفين، فقبحَ عليه حمّادُ الراوية، فقال الرجل : إنَّ الثعالبَ أولغُ شيءٍ بالسرفين، فقال حمّادُ : انظروا يُصحفُ ويُفسرُ !)، وهذا يعني أنَّ حمّاد الراوية، لم يكنْ راويةً للشعر، فحسب بل من كان كبارُ علماء اللغة العربية، فهو رأسُ الطبقة الأولى من العلماء اللغويين الكوفيين، وجاءَ بعده أبو البلاد الأعمى، علماً أنَّ هذه الطبقة تتكون منهما فقط .

سُئِلَ حمّادُ الراوية عن الحبِّ فأجاب هو (٦٨) : (شجرةٌ أصلُها الفكرُ، وعروقُها الذكرُ، وأغصانُها السهرُ، وأوراقُها الأسقامُ، وثمرتُها المنية)، أليسَ هذا الوصفُ، هو الذي قال به الشعراءُ العشاق وقد جاء مبثوثاً في أشعارهم .

بعد سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية قال حمّاد الراوية (٦٩) : (أرسلَ إليَّ أبو مسلم ليلاً، فراعني ذلك ولبستُ أكفاني، ومضيتُ، فلما دخلتُ عليه، تركني حتى سكنَ جأشي، ثم قالَ : ما شعرٌ فيه أوتادٌ ؟ قلتُ : فمنْ قائلهُ أصلحَ اللهُ الأمير ؟ قال : لا أدري، قلتُ : فمن شعراء الجاهلية، أم من شعراء الإسلام ؟ قال : لا أدري، قال : فأطرقتُ حيناً أفكرُ فيه، حتى بدر إلي، وهو في شعرُ الأفوه الأودي حيثُ يقول :

والبيتُ لا يُبتنى إلا ولهُ عمدٌ ولا عمادَ إذا لمْ تُرسَ أوتادُ

فقلتُ : هو قولُ الأفوه الأودي أصلحَ اللهُ الأمير، وأنشدتهُ الأبيات، فقال : صدقتَ، إنصرفْ إذا شئتَ، فقمتُ فما خطوتُ البابَ، حتى لحقني أعوانٌ لهُ معهم بدرة، فصحبوني الى الباب) .

قال أبو سعيد الأصمعي (٧٠) : (سمعتُ حمّاد الراوية، وأنشدهُ رجلٌ بيتَ حسان :

يغشونَ حتى ما تهرُ كلابهم لا يسألونَ عن السوادِ المقبلِ

فقال : ما يُعرفُ هذا إلا في كلابِ الحاناتِ) ؛ وقولُ حمّاد الراوية صحيحٌ وينطبقُ مع واقع الحال، إذْ إنّ كلابَ الحاناتِ لكثرة روادها، لم تعد تنبحُ، على القادمِ ولا تنبح على الخارج، وعدم نبح الكلاب في شعر حسان بن ثابت كنايةً عن الجود والكرم، فالعربيُ الجوادُ، كلابَهُ لا تنبحُ لكثرةِ

الضيوفِ القادمين فضلاً عن طارقي الليل، لأنها ألفتْ هذا المنظر ؛ وهذا الحالُ ينطبق على كلابِ الحانات .

ومن القصائد التي رواها حمّاد الراوية ونقلها عنه الرواة الآخرون قصيدة النابغة الجعدي ذات المطلع :

الحمدُ للهِ ربي لا شريكَ لهُ منْ لمْ يقلْها فنفسهُ ظلما

وأكد صحة الرواية يونس بن حبيب الضبّي، ومحمد بن سلّاَم الجمحي، وعلي بن سليمان الأخفش (٧١) .

حمّادُ الراوية والكميتُ بن زيد الأسدي

تربطُ حمّاد الراوية علاقةٌ قويةٌ ومتينةٌ بالشاعر الكميت بن معروف الأسدي، وذلك لاتفاقهما عقائدياً، بصفتهما من انصار العلويين والموالين لهم، والكميتُ في العصر الأموي كان يمثلُ لسانَ حال العلويين، فأراد حمّاد الراوية أنْ ينقل شعر الكميت وإذاعته بين الناس، ولكنّ المعضلة كانت في أنَّ الكميت كان شيخاً كبيراً وفي أواخرِ عمرهِ، وحمّادُ الراوية شاباً في مقتبل عمره، فخاف الكميت على شعره أنْ يُحرفَ ويضيعَ، ذلك لأنَّ حمّاد الراوية ينحدرُ من أصلٍ غير عربي، ولم يكن مشهورًا ومعروفًا حينذاك بين الرواة، كما أسلفت، فقد قال محمد بن الهيثم المقرئ الكوفي (٧٢) : (جاءَ حمّادُ الراوية الى الكميت فقال : أكتبني شعرك، قال : أنتَ لحان، ولا أكتبك شعري، قال : فوسم شعره بشيء أجهدَ أنْ يخرج ذلك من قلبي، إذ كان عن طريق الغضب فلا يخرج، قال : فقال له : وأنتَ شاعرٌ ؟ إنما شعرك خُطبٌ) .

حُمل قولُ الكميت لحمّاد الراوية على أنّه راويةٌ لا يجيد استعمال اللغة العربية الفصحى لأنَّهُ غير عربي، وحُمل قولُ حمّاد الراوية للكميت على أنه انتقاصٌ من شاعريته، وواقع الحال هو خلاف ذلك، إذْ حُرفتْ الحقيقةُ عن مسارِها الصحيح، فلوْ قرأتَ الخبر ثانيةً لوجدت الكميتَ لم يطعن بأمانة حمّاد الراوية، أو أنَّهُ لربما سيعبثُ بشعره ويتزيد فيه ويتنقص، بلْ لأنَّ حمّاد كان في تلك المرحلةِ شاباً يافعاً حديث العهد برواية الشعر فضلاً عن كونه ينحدر من أصلٍ غير عربي وقد يلحن، أضف الى ذلك أنَّ حمّاد الراوية لم يشتهر بعد برواية الأشعار، فقال له الكميت بلطفٍ : أنتَ غير عربي وأخافُ أنْ ينحرفَ شعري عن قصده ؛ وذلك لضعفٍ في لغتك، كما يظن الكميت في حينها،

وهذا حقٌ مشروعٌ للشاعر في الحفاظ على شعره، وحمّادُ الراوية استوعب ما قصده الكميت فقال : أنتَ خطيبٌ، وهذا مدحٌ وليس قدحٌ، كما يتوهم الآخرون، فالخطابةُ أرفعُ مقاماً ، وأعلى درجةً من الشعر، والخطباءُ من عليةِ القوم وساداتهم، والشعراءُ من السادةِ والرعيةِ، وقد دلّ على ذلك، أنّ الله سبحانه وتعالى ارتضى لنبيه الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ يكونَ خطيباً ولم يرتضِ له أنْ يكون شاعراً، وتأييداً لما قاله حمّاد الراوية ؛ قال الشريف المرتضى (٧٣) : (إنّ الكميت بن زيد الأسدي لما عرض على الفرزدق أبياتاً من قصيدته التي أولها :

أ تصرمُ الحبلَ حبلَ البيضِ أمْ تصلْ وكيفَ والشيبُ في فوديكَ مشتعلُ

حسده الفرزدق فقال له : أنتَ خطيبٌ، وإنما سلم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر، لما بهره من حسن الأبيات واعجابه بها، ولم يتمكن الفرزدق من دفع فضلها جملة، فعدل في وصفها الى معنى الخطابة)، وبقول الشريف المرتضى سقِطَ الرأي الأول، الذي يقول بتبادل المذمةِ بينَ حمّادِ الراوية والكميت .

هذهِ هيَ أهمُ الأراء النقدية لحمّاد الراوية التي وقفت عليها فيما وقعت بين يدي من مصادر الشعر العربي الجاهلي والإسلامي الذي قرأته ؛ ولعلَّ لحمّاد الراوية آراء لم يسعفني الحظُّ في الوقوفِ عليها ؛ وحسبي ما وجدتُ من آراءٍ فصنعتُ منها مبحثاً .

المبحثُ الثالث :حمّادُ الراوية اخباريًا :

يعد حمّاد الراوية من كبارالعلماء الموسوعيين، فهو راوية للشعر القديم والإسلامي، وهو ناقدٌ كبيرٌ مثلما مر بنا، وفضلاً عن ذلك، فهوَ إخباريٌ، ونسابة، وعالمٌ بأيامِ العربِ، والذي يهمُنا في هذا الجزء من البحث هو كون حمّادُ الراوية اخبارياً، وذلك لقيمة الأخبار الفنية التي يرويها وينقلها، وأخبارهُ معتمدة وموثقة عند النقادِ والرواة كافة، فعنه أخذوا خبرَ زُهير بن أبي سلمى، مع خاله الشاعر بشامة بن الغدير، فقد قال حمّاد الراوية (٧٤) : (ذكروا أنَّ بشامةَ بن الغدير، وكان أشعر غطفان في زمانه، وكان زُهيرُ معجباً بشعره، وكان رجلاً مُقعداً، ولم يكن له ولدٌ، وكان كثير المال، ومن أحزم الناس رأياً، فكانت غطفان إذا أرادوا أنْ يغيروا، أتوهُ فأمروه، واستشاروه، فصدروا عن رأيه، فإذا انصرفوا قسموا له مثلما يقسمون لأفضلهم، فمن أجل ذلك كثر ماله، فلما حضره الموت، جعل يقسمُ ماله في أهل بيته وبني إخوته، فأتاهُ زهيرٌ فقال : يا خالاهُ لو قسمت لي من مالك ! قال : قد قسمتُ لكَ أفضل ذلك وأجزله، قال : ما هو ؟ قال شعري ورثتنيه، وكان زُهير قبيل ذلك قال الشعر، وكان أول ما قال ....قال : فمن أين جئت بهذا الشعر ! لعلكَ جئت به من مُزينة ! قد علمت العربُ أنَّ حصاتها، وعين مائها في الشعر، هذا الحي من غطفان) .

هذا الخبر وقصته، ساقه حمّاد الراوية، وعنه أخذه النقادُ والرواةُ وتناقلوه، ولم يعترضوا على صحته، فهم يتداولونه فيما بينهم بثقةٍ مطلقةٍ، وهو عندهم من الأخبار الموثقة، التي لا غبار عليها، ولم يروِ هذا الخبر قبل حمّاد الراوية أحدٌ من الرواة .

وكذلك اخذ الرواة من حمّاد الراوية، قصةَ علقمة بن عبده وقريشٍ ، ومفاد القصة، وخبرها أنَّ حمّاد الراوية روى (٧٥) : (كانت العربُ تعرضُ أشعارها على قريشٍ، فما قبلوه منها، كان مقبولاً، وما ردوهُ منها، كان مردودًا، فقدم عليهم علقمة بن عبده، فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها :

هلْ ما علمتَ وما استودعتَ مكتومُ أمْ حبلَها إنْ نأتكَ اليومَ مصرومُ

فقالوا : هذه سمطُ الدهر، ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم :

طحا بكَ قلبٌ في الحسانِ طروبُ بُعيدُ الشبابِ عصر حانَ المشيبُ

فقالوا : هاتان سمطا الدهر)، والخبرُ يتناقله النقاد، والرواة من جيلٍ إلى جيل، ولم يعترض أحدٌ على صحته، وهذا يؤكد اجماعهم على صحته، ولو لم يكن صحيحاً، لطعنوا في صحته وصحة روايته، إلا أنَّ مثل هذا لم يحدث، وفي السياق نفسه نقل لنا حمّاد الراوية خبراً، مفاده أنَّ قريشاً كانت تعدُ زُهير بن أبي سلمى أشعر الناس، فقال حمّاد الراوية (٧٦) : (لم أدركْ أحداً من أهل العلم من قريشٍ يفضلُ على زُهيرٍ أحدٌ من الناسِ في الشعر، وكان زُهير يقول : ما أنا بأشعرِ من النابغة، والعربُ يفضلُ كلَّ قوم شاعرهم، غير قريشٍ قد اتفقت على تفضيل زُهير والنايغة)، فإذا قرأنا النصَّ ثانية، نجدُ أنَّ حمّاد الراوية، يعبرُ عن نفسه ويؤكدُ أنّه هوَ لم يدركْ، وليسَ غيرهُ، والجانب الآخر من القولِ، هو أنَّ قريشاً هي التي تفضلُ، وليس حمّاد الراوية، وهذا التفضيل متفقٌ عليه عند النقاد والرواة كافة، ولا خلاف فيه، فضلاً عن اعتراف زُهير نفسه، بأنه ليس أشعر من النابغة الذبياني، وهذا حقٌ قال به كلُّ أصحابِ الطبقات (٧٧)، وكذلك قال به الأصمعيُ (٧٨)، والمقطع الأخير من الخبر، صحيح مائة بالمائة، إذ إنّ العصبية عند العرب، كانت قائمة حتى في الشعر، ولو اضطروا إلى الوضع، لتأكيد شاعرية شاعرهم، وقد شذت قريش عن هذا المبدأ، ورشحت زُهيرًا والنابغة، والنقاد والرواة متفقون على صحة ذلك .

وكان حمّاد الراوية يأخذ أخباره من أفواه أصحاب الشأن من الشعراء، فقد قال حمَّاد الراوية(٧٩) : (سألتُ الفرزدق : أيُ الشعراء أشعرُ في أشياء ثلاثة مختلفة ؟ وأيهم أصدقُ بيتٍ في الجاهلية ؟ قال : أصدقُ بيتٍ في الجاهلية قولُ امرئ القيس :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ بهِ والبرُ خيرُ حقيبةِ الرجلِ

قلت : فمن كان منهم أحسنُ تشبيهًا، وأصدقهم فيه ؟ قال : الذي يقول :

كأنَّ عيونُ الوحشِ حولَ خبائِنا وأرحلِنا الجزعُ الذي لم يثقبِ

قلتُ : فأي بيتٍ كان أفخرُ في الجاهلية ؟ قال : الذي يقول :

فلوْ أنَّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفاني ولمْ أطلبْ قليلٌ من المالِ

ولكنما أسعى لمجدٍ مؤثـــلٍ وقدْ يدركُ المجدَ المؤثلَ أمثالـــي)

ألا ترى أنَّ الحكم الذي أطلقه الفرزدق، فيما يتعلق بالبيت الأول، ونقله حمّاد الراوية صحيحٌ لا غبار عليه، إذْ إنّ اللهَ سبحانهُ وتعالى، هو الذي تتضرعُ إليهِ الأكفُ، وتهفو إليه القلوب

والنفوس، وبه تتوسل، واليه تتوجه دعواتهم، ولم يقل بذلك امرؤ القيس وحده، بل قال بذلك كل الموحدين، الذين يؤمنون بأنَّ الله لا إله غيره، أما فيما يتعلق بالبيت الثاني، فهو بيتٌ جميلٌ، قدم لنا صورةً رائعةً، منقولةً من البيئة الفعلية التي يعيش فيها الإنسان العربي، وإذا ما أنعمنا النظر في البيت الثالث سنجده، قد رسم الصورة المرسومة في ذهن امرئ القيس وفكره، فهو لا يريد العيشَ بلا مجدٍ، يأكلُ ويشربُ منتظرًا الموتَ، الذي سيطالهُ في يومٍ ما، بل هو يبحثُ عن عرشِ المملكة الضائع، وعليه أنْ يفكر في كيفية استرجاع عرش مملكة كندة المنهار ، ذلك لأنَّ طموحه يتمثل في أنْ يكون ملكًا من طريق احياء عرش مملكة كندة المنهار، وهذا هو الذي عناه بالمجد المؤثل، ويرى الشاعر أنَّهُ جديرٌ بالملك ومؤهلٌ لهُ، ولم يكن الفرزدق إلا صاحب رأي تطابقَ مع واقع حال امرئ القيس، أما دور حمّاد الراوية في هذه المسالة، فهو رجلٌ اخباريٌ، والرجل نقل لنا خبرًا سمعه من رجلٍ صاحب فكرٍ ورأيٍ ودرايةٍ، وكلنا يعرف أنَّ الفرزدق له درايةٌ كبيرةٌ، وإحاطةٌ شاملةٌ بشعر امرئ القيس وأخباره، والرواة والنقاد يؤيدون صحة ذلك، وقريبٌ من هذا ما رواه محمد بن سلّام الجمحي(٨٠) : (قال بعضُ جلساءِ حمّاد الراوية : بلغني أنَّ للحلقيين أرحاماً منكوسة، فقال حمّاد لفتىً إلى جنبه : أكتبْ هذا، فإنَّ أصحَ الحديث ما أُخذَ عن أهلهِ) وهذا هو الصحيح، لأنَّ أصحاب الصنعة، هم أعرفُ بها من غيرهم، وهو في الوقت نفسه يوثقُ مرويات حمّاد الراوية، بلسان خصمه.

ومن الأخبار المعتمدة عند النقاد والرواة، التي نقلَ خبرَها حمّاد الراوية، هو الحديث الذي رواه عن لقاء النابغة الذبياني مع لبيد بن ربيعة في باب النعمان بن المنذر، إذ قال حمّاد الراوية(٨١): (نظرَ النابغة الذبياني إلى لبيد بن ربيعة، وهو صبيٌ مع أعمامه على بابِ النعمانِ بن المنذر، فسألَ عنه فنُسبَ إليه، فقال له : يا غلامُ : إنَّ عينيك لعينا شاعر، أفتقرضُ من الشعرِ شيئًا ؟ قال لبيد : نعم يا عم، قال حمّاد الراوية : فأنشدني شيئًا مما قلت، فأنشده قوله (٨٢) :

ألمْ تربعْ على الدمنِ الخوالي لسلمى بالمذانبِ فالقفالِ

فقال له يا غلامُ : أنت أشعرُ بني عامر، زدني يا بني فأنشده (٨٣) :

طللٌ لخولةَ بالرسيسِ قديمُ فبعاقلٍ فالأنعمينَ رسومُ

فضرب بيديه إلى جنبيه وقال : إذهب أنَّك أشعرُ من قيسٍ كلِّها)

عند إعادة النظر في القصيدتين اللتين أنشدهما لبيد بن ربيعة أمام النابغة الذبياني، سنجدهما يمثلانِ قصيدتين مشهورتين من شعر لبيد بن ربيعة، وهنَّ في ديوانه، والقصيدتان تعبران عن شاعرية واعدة لصاحبها، وفعلًا صدق تنبؤ النابغة الذبياني، إذ أصبحَ لبيد بن ربيعة من الشعراء الفحول، وهو من الشعراء الذين اختارهم محمد بن سَلّام في طبقاته (٨٤)، والخبر الذي نقله حمّاد الراوية لم يعترضْ عليه أحدٌ من النقاد، ولا من الرواة على صحته، بل كانوا يتداولونه في رواياتهم المختلفة.

ونقل لنا حمّاد الراوية خبراً آخر عن الفرزدق، وذلك حينما أراد حمّاد الراوية معرفة البواعث التي تساعد الشعراء على قول الشعر، قال الفرزدق (٨٥): (وهلْ الشعرُ إلا في الخوفِ، والرجاءِ، وعند الخيرِ، والشرِ) . وبهذا الرأي قال كل رواة الشعر العربي، وهو حقيقة ثابتة، إذْ إنَّ الأسباب الأربعة، التي حددها الفرزدق، هي أسباب اتفق نقادُ الشعر العربي على صحتها .

ومن الأخبار التي نقلها حمّاد الراوية، وعنه أخذها الرواة الآخرون، هو ما نقله ابن قتيبة عن حمّاد الراوية الذي قال (٨٦) : (حدثني سماك بن عبيد راوية الأعشى، عن الأعشى، قال : قدمتُ على النعمان بن المنذر وأنشدته (٨٧) :

إليكَ أبيتَ اللعنَ كانَ كلالها تروحُ معَ الليلِ التمامِ وتغتدي

حتى أتيتُ على آخرها، فخرج إلى ظهر النجف، فرأيته قد اعتم بنباتهِ، من بين أحمرٍ، وأصفرٍ، وأخضرٍ، وإذا فيه من هذه الشقائق شيءٌ لمْ أرَ مثله، فقال : ما أحسنَ هذه الشقائق إحموها، فحموها فسُميتْ ((شقائقُ النعمان)) .) والرواة يتفقون على صحة هذه التسمية، وأنَّ هذه الزهور، ومن شدة إعجاب النعمان بن المنذر بها سميت شقائقُ النعمان، وجميع الرواة والاخباريين نقلوا الخبر عن حمّاد الراوية وأذاعوه بين الناس .

روى الهيثم بن عدي خبرًا عن حمّاد الراوية عن معقل بن أبي بكر الهلالي قوله (٨٨) : (خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيس بن معديكرب ....) والخبر يتعلق بقصة الأعشى مع المحلق وتزويج بناته وقصيدته :

أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرقِ) .

والقصيدة وخبرها متفق عليه عند الرواة كافة، والقصيدة وخبرها في ديوان الأعشى يمكن العودة إلى تفاصيلها (٨٩) .

ومن أخبار العصر الأموي، نقل لنا حمّاد الراوية خبراً، مفاده أنَّ كُثيرًا قال له (٩٠) : (ألا أخبرك عمّا دعاني الى ترك الشعر ؟ قلتُ : تخبرني، قال : شخصتُ أنا، والأحوص، ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وكلّ واحدٍ منا يُدلُ عليه بسابقة له وإخاء، ونحن لا نشكُ أنَّه يشركنا في خلافته، فلما رفعت لنا أعلامُ خُناصرة، لقينا مسلمة بن عبدالملك (جائيًا من عنده) وهو يومئذ فتى العربِ، فسلمنا عليه، فرد علينا السلام، ثم قال : أما بلغكم أنَّ إمامكم لا يقبل الشعر؟ قلنا : ما وضح لنا الخبر حتى انتهينا إليك، ووجمنا وجمة، عرف ذلك فينا .... فأقمنا عنده ((عند مسلمة)) أربعة أشهر يطلب لنا الأذن، هو وغيره، فلم يؤذن لنا .... فأذن لنا بعدما أذن للعامة .... فقال : يا كُثير (٩١)، (إنما الصدقاتُ للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل) أفي واحدٍ من هؤلاء أنت ؟ ....وأمر لي بثلاثمائة درهم وللأحوص بمثلها، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهما)، والخبرُ متفقٌ على صحته، فقد رواه ابن عبد ربه الأندلسي (٩٢)، وكذلك رواه أبو الفرج الأصفهاني بسندين (٩٣)، ولم يشكك أحدٌ بصحة الخبر وروايته .

أما قصةُ الحطيئة مع الزبرقان بن بدر وخبرها ، وعلى الرغم من شهرتها فإنّ مصدرها الوحيد، هو حمّاد الراوية، ذكر ذلك ابن الشجري في مختاراته (٩٤) .

كان حمّاد الراوية ذكيًا، فطنًا، ذا بصيرةٍ نافذةٍ، فأراد المُعلى بن هبيرة أنْ يورطَ حمّاد الراوية بمماحكةٍ ثقيلةٍ مع الشاعرِ صاحبِ اللسان السليط ، أبي العطاء السندي، لكي يهجو حمّاد الراوية، فيسخروا منه ويضحكون، إلا أنَّ حمّاد الراوية كان أذكى من المُعلى، فسلبه بغلته التي يعتزُ بها في روايةٍ طريفةٍ، رواها أبو الفرج الأصفهاني عن المدائني (٩٥) تمثلتْ فيما يأتي : (أنَّ يحيى بن زياد وحمّاد الراوية كان بينهما، وبين المُعلى بن هبيرة، ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من النفاسة، وكان المُعلى بن هبيرة يحبُ أنْ يطرحَ حمّاد الراوية في لسانِ شاعرٍ يهجوه، قال حمّاد الراوية : فقال لي يومًا بحضرة يحيى بن زياد : أتقولُ لأبي العطاء السندي أنْ يقول في زجٍ، وجرادةٍ، ومسجد الشيطان ؟ قال : فقلتُ لهُ : فما تجعله لي على ذلك ؟ قال : بغلتي بسرجِها ولجامِها، قلتُ : فعدلها على يدي يحيى بن زياد، ففعل وأخذتُ عليهِ موثقًا بالوفاءِ، وجاءِ أبو العطاء السندي فجلسَ إلينا، فقال : مرهبًا مرهبًا، هياكم الله ! فرحبت به، وعرضت عليه العشاء، فقال : لا حاجة

لي به، فقال : عندكم نبيذ ؟ فأتيناه بنبيذٍ كان عندنا، فشربَ حتى احمرتْ عيناهُ، واسترختْ علابيبهُ، ثم قلتُ : يا أبا العطاء إنَّ انسانًا طرح علينا أبياتًا فيها لغزٌ، ولستُ أقدرُ على اجابته البته، ومنذ أمس إلى الآنْ ما يستوي لي منهما شئ، ففرج عني ! قال : هات، فقلت :

أبِنْ لي إنْ سُئلت أبا عطاءٍ يقيناً كيف علمكَ بالمعاني ؟

فقال :

خبيرٌ عالمٌ فاسأل تجدني بها طبًا وآياتِ المثاني

فقلت :

فما اسمُ حديدةٍ في رأسِ رمحٍ دوينَ الكعبِ ليستْ بالسنانِ؟

فقال أبو العطاء :

هو الزز الذي إنْ باتَ ضيفًا لصدركَ لمْ تزلْ لكَ عولتانِ

قلت فرج الله عنك، تعني الزجُ

فما صفراءُ تدعى أُمَّ عوفٍ كأنَّ رجيلتيها منجلانِ ؟

فقال :

أردتَ زرادةٌ وأزنُ زنـــــا بأنَّكَ ما أردتَ سوى لساني !

قلت : فرج الله عنك وأطال بقاءك، تريدُ جرادة وأظنُ ظنًا، فقلت:

أتعرفُ مسجداً لبني تميمٍ فُويقَ الميلِ دونَ بني أبانِ ؟

فقال :

بنو سيطانٍ دونَ بني أبانِ كقربِ أبيكَ من عبدالمدانِ ؟

قال حمّاد الراوية، فرأيتُ عينيهِ قد احمرتا، وعرفتُ الغضبَ في وجهه وتخوفته، فقلتُ : يا أبا عطاء، هذا مقامُ المستجيرُ بكَ، ولكَ النصفُ مما أخذتُ، قال : فأصدقني ؟ فأخبرتهُ، فقال لي : أولى لكَ ! قد سلمتَ وسلمَ لكَ جُعلكَ، خذهُ بوركَ لك فيه، لا حاجة لي فيه، والقلبُ يهجو المُعلى بن هبيرة) .

ومن الأخبار التي رواها حمّاد الراوية، وعنه أخذها الرواة الآخرون ، هو ما رواه المبرد، عن حمّاد الراوية، عن ليلى بنت عروة بن زيد الخيل قالتْ (٩٦) : (قلتُ لأبي : أنشدني قول أبيك :

بني عامرٍ هلْ تعرفونَ إذا غدا أبو مكنفٍ قدْ شدَّ عقدَ الدوابرِ

هل شهدت هذه الغزوة مع أبيك ؟ قال : نعم، قالتْ : ابنُ كم كنتَ ؟ قال : غلامًا) .

ومن أخبار حمّاد الراوية، عن عروة بن زيد قوله (٩٧) : (كان عروة بن زيد الخيل فارسًا شجاعًا، وشهد القادسية وحسن بلاؤُهُ فيها، وهو القائل :

برزتُ لأهلِ القادسيةِ مُعْلمـًا وما كل من يغشى الكريهةَ يعلـمُ

ويوماً بأكنافِ النُخيلةِ قبلها شهدتُ فلمْ أبرحْ أدمى وأكلـمُ

وأرديتُ منهم فارساً بعدَ فـارسٍ وما كل من يلقى الفوارسَ يسـلمُ

وأيقنتُ يومَ الديلميينَ أننـي متى ينصرفُ وجهي عن القومِ يهزموا

محافظة إنِّي امرؤٌ ذو حفيظةٍ إذا لم أجدْ مستأخراً أتقـدمُ

وقال : وشهد مع علي رضي الله عنه صفين وأبلى جهارًا بين يديه)، وفعلًا كان عروة بن زيد الخيل الطائي من أصحابِ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ورجالهِ المقربين، وشهدَ معه جميعَ وقائعه .

ومن أخبار حمّاد الراوية، روايته لخبر ليلى الأخيلية مع توبة بن الحُمير ووفاتها فقال (٩٨) : (أقبلتْ من سفرٍ، فمرتْ بقبر توبة ومعها زوجها، وهيَ في هودجٍ لها، فأقسمتْ إلا تبرحَ، حتى تسلمُ على توبة، فجعل زوجُها يمنعُها من ذلك، وهي تأبى إلا أنْ تسلم عليه، فتركها وشأنها، فصعدتْ أكمةً عليها قبرُ توبة، فسلمتْ عليه، ثم حولتْ وجهها الى القوم وقالت : ما عرفتُ له كذبةً قبل هذا، أ ليسَ هو القائل :

ولو أنَّ ليلى الأخيلية سـلمتْ عليَ ودوني جندلٌ وصفائـحُ

لسلمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقا إليها صدى من جانبِ القبرِ صائحُ

وكانت الى جانب القبر بومةٌ كامنةٌ، فلما رأتْ الهودجَ واضطرابه، فزعتْ وطارتْ في وجه الجمل، فنفرَ ورمى بليلى على رأسها فماتتْ من وقتها، ودفنتْ الى جانبه)، والخبر رواه ابن الجوزي وأضاف عليه (٩٩)، (بعد ذلك نبتت على قبره شجرة وعلى قبرها شجرة، فطالتا فالتقتا) وأيد الروايتين ابن عساكر في تاريخه (١٠٠)، علما أنَّ الروايةَ رواها كل من : الأصفهاني (١٠١)، والبكري(١٠٢)، والبلوي (١٠٣)، وابن حجلة (١٠٤) فضلاً عن ابن الجوزي وابن عساكر، ولم يطعن

أحد بصحة رواية حمّاد الراوية من القدماء، إلا أنَّ لبعضهم روايةً مخالفةً لهذه الرواية، وما ذهب إليه الأخوان عطية في تحقيق ديوان ليلى الأخيلية (١٠٥) هو خبرٌ ظني، ينقصهُ الإثبات، إذ يدحضه الرواة الذين أيدوا صحة رواية حمّاد الراوية ووثقوها .

ومن أخبار حمّاد الراوية، ما رواه مروان بن أبي حفصة حين قال (١٠٦) : (دخلتُ أنا، وطريحُ بن إسماعيل الثقفي، والحُسينُ بن مطير الأسدي في جماعةٍ من الشعراء على الوليد بن يزيد، وهو في فُرُشٍ قد غابَ فيها، وإذا رجلٌ عنده، كلما أنشدَ شاعرٌ شعراً، وقف الوليد بن يزيد على بيتٍ بيتٍ من شعره وقال : هذا أخذهُ من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعر، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حمّاد الراوية، فلما وقفت بين يدي الوليد أنشدهُ قلتُ : ما كلامُ هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحنةٌ لحانةٌ، فأقبل الشيخُ عليَ ؛ وقال : يا ابن أخي، إنّي رجلٌ أكلمُ العامة فأتكلمُ بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئًا ؟ فذهبَ عني الشعر كله إلا شعر ابن مقبل، قلت له : نعم، شعر ابن مقبل، قال : فأنشد، فأنشدته قوله :

سلْ الدارَ من جنبي حبرٍ فواهبٍ إذا ما رأى هضبَ القليبِ المضيحُ

ثم جزت، فقال لي : قف، فوقفت، فقال لي : ماذا يقول؟ فلم أدر ما يقول ! فقال لي حمَّاد : يابن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب، يقال ترآى الموضعان إذا تقابلا)، وهذا من روائع كلام العرب وموثق في معاجمهم، وقد أيد القرآن الكريم صحة ذلك في قوله تعالى (١٠٧) : { فلما ترآى الجمعانِ، قال أصحابُ موسى : إنّا لمدركون } وذلك بعد أنْ لحقَ بهم فرعونُ وجنوده وأصبحوا متقابلين ؛ وقوله تعالى (١٠٨) : { فلما تراءت الفئتان ؛ نكص على عقبيه }، أي بمعنى تقابل الجيشان ؛ جيش المسلمين بقيادة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجيش المشركين بقيادة أبي سفيان بن حرب .

ومن الأخبار الدالة على إحاطة حمّاد الراوية بلغة العرب، ما رواه الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي، الذي قال لحمّاد الراوية (١٠٩) : (ألقِ علي ما شئت من الشعر أفسره لك، فضحك وقال لي : ما معنى قول ابن مزاحم الثمالي :

تخوفَ السيرُ منهما تامكاً قرِداً كما تخوفَ عُود النبعةِ السَفَنُ؟

فلم أدر ما أقول، فقال : تخوفَ : تنقصَ، قال الله عزَّ وجلَّ (١١٠) : { أوَ يأخذكم على تخوفٍ} أي على تنقص) .

قال حمّاد الراوية : كنت منقطعاً إلى يزيد بن عبدالملك، وكان أخوه هشام يجفوني لذلك ؛ دون سائرِ أهلهِ من بني أمية، ولما ماتَ يزيدٌ، وأفضتْ الخلافة إلى هشام خفته، فمكثتُ في بيتي سنةً لا أخرج، إلا الى من أثقُ به من أخواني سرًا، فلما لم أسمع أحد يذكرني، أمنتُ فخرجتُ ، فصليتُ الجمعة في الرصافة ، ثم جلستُ عند بابِ الفيلِ، فإذا شرطيان قد وقفا علي فقالا (١١١) : يا حمّادُ أجب الأمير يوسف بن عمر، فقلتُ في نفسي : هذا الذي كنتُ أخافه، ثم قلتُ للشرطيين : هل لكما أنْ تدعاني حتى آتي أهلي فأودعهم، وداع من لا ينصرف إليهم أبدًا، ثم أصيرُ معكما ! فقالا : ما لك إلى هذا سبيلٌ، فاستسلمتُ في أيديهم، وصرتُ إلى يوسف بن عمر، فسلمتُ عليه، فرد علي السلام، ورمى إليَ كتابًا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد، فإذا قرأتَ كتابي هذا فابعثْ إلىَ حمّاد الراوية من يأتيكَ به، وادفعْ إليه خمسمائةِ دينارٍ، وجملًا مهريًا يسيرُ عليه اثنتي عشرةَ ليلةً الى دمشق، فأخذتُ الخمسمائة دينار، ونظرتُ فإذا جمل مرحول، فجعلتُ رجلي في الغررِ، وسرتُ اثنتي عشرة ليلةً، حتى وافيتُ دمشقَ، ونزلتُ على بابِ هشامٍ، فآستأذنتُ فأذن لي، فدخلتُ عليه في دارٍ قوراءٍ مفروشةٍ بالرخامِ، وبين كل رخامتين قضيبُ ذهبٍ، وهشامٌ جالسٌ على طنفسةٍ حمراءٍ، وعليه ثيابٌ حمرٌ من الخزِ، وقد تضمخَ بالمسكِ والعنبرِ، فسلمتُ عليه، فردَ علي السلام، واستدناني، فدنوتُ منه، حتى قبلتُ رجله، فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط، في أذنِ كلَّ واحدةٍ منهما حلقتان، فيهما لؤلؤتان تتوقدان، فقال لي : كيف أنتَ يا حمّاد ؟ وكيفَ حالك ؟ فقلتُ : بخيرٍ يا أمير المؤمنين، قال : أ تدري فيمَ بعثتُ إليك؟ قلتُ : لا، قال بعثتُ إليك لبيتٍ خطر ببالي لم أدرِ من قائله ؟ قلت وما هو ؟ قال :

ودعوْا بالصبوحِ يوماً فجاءتْ قينة في يمينِها إبريقُ

فقلت : يقوله عدي بن زيد في قصيدة له، قال : فأنشدنيها، فأنشدته :

بكرَ العاذلون في وضحِ الصَبـ.....حِ يقولونَ لي ألا تستفيقُ

ويلومونَ فيكَ يا ابنة عبدالله والقلبُ عندكم موثوقُ

لستُ أدري إذا أكثروا العذلَ فيها أ عدوٌ يلومني أم صديقُ

قال : فانتهيت الى قوله :

ودعوْا بالصبوحِ يوماً فجاءتْ قينةٌ في يمينها إبريقُ
قدمتهُ على عُقارٍ كعينِ الد .....يكِ صفىٌ سلافها الراووقُ
مرةً قبلَ مزجها، فإذا ما مزجتْ لذَّ طعمُها من يذوقُ
وطفا فوقها فقاقيعُ كاليا ..... قوتِ حمرٌ يزينها التصفيقُ
ثم كانَ المزاجُ ماءَ سحابٍ لا صرى آجن ولا مطروقُ

قال : فطربَ ثم قال لي : أحسنتَ، والله يا حمّاد، يا جارية اسقيهِ، فسقتني شربةً ذهبتْ بثلثِ عقلي، فقال : أعده فأعدته ، فاستخفه الطربُ حتى نزل عن فراشهِ، ثم قال للجارية الأخرى : أسقيه، فسقتني شربة فذهبَ ثلثٌ آخر من عقلي، فقلتُ إن سقتني الثالث افتضحتُ، ثم قال : سل حاجتك، فقلت : إحدى هاتين الجاريتين، قال : هما جميعا لك، بما عليهما وما لهما، ثم قال للأولى : إسقيه فسقتني شربةً سقطتُ منها فلم أعقلْ، حتى أصبحت والجاريتان عند رأسي، وإذا عشرة من الخدم، مع كلِّ واحدٍ منهم بدرة، فقال أحدهم : إنَّ أمير المؤمنين يقرأُ عليك السلام، ويقولُ لكَ : خُذْ هذه فانتفع بها في سفرك، فأخذتها والجاريتين، وعاودتُ أهلي) لكنّ أحمد بن عبيد أيدَ صحة الرواية، ولكنهُ قال : إنَّهُ طرب لإنشاده ووهب له الجاريتين .....وإنَّهُ أقام عنده مدة فوصلَ إليه مائة ألف درهم، وهذا هو الصحيح، لأنَّ هشاماً لم يكنْ يشرب)، قال حمّادُ : فسرتُ وأنا أيسرُ خلقِ اللهِ الى الكوفةِ فقلتُ (١١٢) :

أنتَ الذي تنزلُ الأيامَ منزلها وتنقلُ الدهرَ من حالٍ الى حالِ
وما مددتُ مدى طرفٍ الى أحدٍ إلا قضيت بأرزاقٍ وآجالِ

والخبر موثق بالروايتين .

قال الرياشي (١١٣) : (طلب المنصور حمّاد الراوية .... فلما مثل بين يديه، قال له : إنشدني شعر هفان بن همام بن نضلة يرثي أباه، فأنشده :

خليليَ عوجا إنها حاجةٌ لنا على قبرِ هُمامٍ سقتهُ الرواعِدُ
على قبرِ من يُرجى نداهُ ويُبتغى جداهُ إذا لم يحمد الأرض رائدُ
كريمُ الثنا حاوِ الشمائلُ بينهُ وبين المُزجَّى نفنفٌ متباعدُ

إذا نازع القومَ الأحاديثِ لم يكن عييًا ولا ثقلًا على من يقاعِـدُ
صبورٌ على العلات يصبحُ بطنهُ خميصًا وآتيهِ على الزاد حامدُ
وضعنا الفتى كل الفتى في حفرةٍ بجّرين قد راحت عليه العوائـدُ
صريعًا كنصل السيفِ تضربُ جلوهُ ترائبهن المعْولات الفواقـــدُ

قال : فبكى أبو جعفر حتى أخضلتْ لحيته، ثم قال : هكذا كان أخي أبو العباس (رضي الله عنه) وهذا يؤكد أنَّ حمّاد الراوية، هو الراوية المشهور في الحفظ في زمن المنصور .

كان حمّاد الراوية مجفواً في زمن الدولة العباسية، بعيداً من مجالسهم، ذلك لأنَّهُ كان منقطعاً إلى خلفاءِ بني أمية، ولذلك ضاقتْ عليه الدُنيا بما رحبتْ، ولما كانت هناك علاقة مودة تربطه مع الشاعر مُطيع بن إياس الذي كان مقرباً عند جعفر بن أبي جعفر المنصور فكلمه بشأن حمّاد الراوية، فقال له : إئتنا بهِ لنراهُ (١١٤)، (فأتى مُطيع حمّاد فأخبرهُ بذلك، وأمره بالمسير معه إليه، فقال له حمّاد : دعني فإنَّ أيام دولتي كانت مع بني أمية، وما لي عند هؤلاء خيرُ ....فلما دخل عليه سلم عليه سلاما حسنا، وأثنى عليه وذكر فضله، فرد عليه ، وأمره بالجلوس، فجلس، فقال جعفر : أنشدني، فقال لمن أيها أمير ؟ أ لشاعر بعينه أم لمن حضر؟ قال: بل لجرير، قال حمّاد: فسلخَ، واللهِ شعر جرير كله من قلبي إلا قوله :

بانَ الخليطُ برامتينِ فودعوا أو كلما اعتزموا لبينٍ تجزعُ

فاندفعتُ فأنشدته إياه حتى انتهيتُ الى قوله :

وتقولُ بوزعٌ قدْ دببتُ على العصا هلا هزئتِ بغيرنا يا بوزعُ

قال حمّاد : فقال لي جعفر : أعد هذا البيت، فأعدته، فقال : بوزعٌ أي شئ هو ؟ فقلتُ اسم آمرأة، فقال : إمرأة اسمها بوزع ! هو بريءٌ من اللهِ ورسولهِ، ونفيٌ من العباس بن عبدالمطلب، إنْ كانت بوزعٌ، إلا غولًا من الغيلانِ ! تركتني والله، يا هذا لا أنامُ الليلة من فزعِ بوزعٍ، يا غلمان ! قفاهُ فصفعتُ، والله حتى لم أدرِ أين أنا ... فلما انصرفتُ، أتاني مُطيعٌ، يتوجع لي، فقلتُ له : ألم أُخبركَ أنّي لا أصيبُ منهم خيراً، وأنَّ حظي قد مضى مع بني أمية) وهذا الخبرُ يؤكدُ أنَّ حمّاد الراوية ضعفتْ مكانته في عهد العباسيين، ولو كانت له ذات المنزلة التي كان عليها عند الأمويين،

لوصلنا شعرٌ غزيرٌ، مما كان يحفظ ويروي، فضلاً عن صدقِ أخبارهِ، وإلا ما الذي حمله على ذكر هذا وروايته .

قال محمد بن العباس اليزيدي : قال حدثني عمي الفضل عن أبيه عن جدِّهِ عن حمّاد الراوية قال (١١٥) : (دخلتُ على المهدي فقال : انشدني أحسنَ أبياتٍ قيلتْ في السُكر ولك عشرة آلاف درهم وخلعتان من كسوة الشتاءِ والصيفِ، فأنشدته قول الأخطل :

ترى الزجاجَ ولم يطمثْ يطيفُ بـــهِ كأنّهُ من دمِ الأجوافِ مختضـــبُ
حتَى إذا افتضَّ ماءُ المُزن عُذرتهَـــا راح الزُّجاجُ وفي ألوانه صهـــــبُ
تنزو إذا صبَّ فيها الماء مارِجُهـــا نزوَ الجنادبِ من رمضاءَ تلتهـــبُ
حتّى إذا أخذت منهم مآخذهـــــا وانغضوا الهامَ حتّى كاد ينقلـــــبُ
راحوا وهم يحسبون الأرضَ في فلكٍ إنْصُرّخوا وقتِ الراحاتُ والركـــبُ
إذا هوى بعضهم منها لمفرقـــــهِ قالوا : انتهض ما على شرّيبها عطبُ

فقال لي :أحسنت وأمر لي بما شرطه ووعدني به فأخذته)، الخبر ليس به حاجة الى تعليق .

وفضلاً عما تقدم، فأنّ حمّاد الراوية كان ذواقةٌ للشعر العربي من الطراز الممتاز، ومتمرساً في كلِّ فنون الشعر من الرواية الى النقد الى الأخبار والى كل ما يتعلق بالشعر، فمن روائع ما روي عنه أنَّهُ قال (١١٦) : (دخلتُ على الوليد بن يزيد، وهو مصطبح، وبين يديه معبد، ومالك، وابن عائشة، وأبو كامل، وحكم الوادي، وعمر الوادي يغنونه، وعلى رأسه وصيفة تسقيه، لم أرَ مثلها تماماً وكمالاً، وجارية، فقال لي : يا حمّاد أمرتُ هؤلاء أنْ يغنوا صوتاً يوافق هذه الوصيفة، وجعلتها لمن وافق صفتها نحلةً، فما أتى أحد منهم بشيءٍ، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها، وهي لك، فأنشدته قول ربيعة بن مقروم الضبّي (١١٧) :

شماءُ واضحةُ العوارضِ طفلةٌ كالبدرِ من خللِ السحابِ المنجلي
وكأنَّما ريحُ القرنفلِ نشرها أو حنوة خلطتْ خزامى حومـــلِ
تعتادهُ بفواقِها وجريـــــة وتقيله بسرارِ روضٍ مبقـــــلِ
وكأنَّ فاها بعدَ ما طرقَ الكرى كأسٌ تصفقُ بالرحيقِ السلســـلِ
لو أنَّها عرضتْ لأشمطَ راهبٍ في رأسِ مشرفةِ الذرى متبتـــلِ

فقال الوليد : أصبتَ وصفها، فاخترها أو ألفَ دينارٍ، فاخترتُ الألفَ دينار، فأمرها، فدخلت إلى حرمه، وأخذتُ المال) ؛ وقال أبو الفرج : وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده وحسنه .

ألا ترى أنَّ هذه القطعة، تعبرُ عن ذوقٍ مثاليٍ، لرجلٍ عالمٍ بفنون الشعر العربي، ولم يعترض على جودة القصيدة وصحتها، ولا على ذوقه .

قال أبو الفرج الأصفهاني (١١٨) : (أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال حمّاد الراوية : ما تمم ذو الرمّة قصيدته التي يقول فيها :

ما بالُ عينُكَ منها الماءُ ينسكبُ

حتى مات، وكان يزيدُ فيها، منذ قالها، حتى توفي) ؛ والخبر صحيح .

روى حمّاد الراوية (١١٩) خبراً عن سماكِ بن حربٍ عن المصور العنزي أحدُ رواة الشعر العربي في الجاهلية . قال عبدالله بن كُثير : قلتُ لحمّاد : أكان من أسنان سماك ؟ فقال : نعم وأكبر من أبيه . قوله : (دخلت على زياد فقال إنشدنا، فقلت : من شعر من ؟ قال من شعر الأعشى، قال : فارتج علي إلا قوله :

رحلتْ سميةُ غدوةً أجمالها غضبى عليكَ فما تقولُ بدا لها

فقطبَ زيادٌ، فعرفتُ ما وقعت فيه، وقيلَ للناس أجيزوا، فأجزتُ، فوالله ما عدتُ إليه) . وسميةُ هو اسمٌ أم زيادٍ، وكذلك هو اسمٌ لزوجه، فكره ذلك، وقد التفتَ الى هذه النقطة المهمة ابن طباطبا العلوي في كتابه عيار الشعر، فأوصى الشعراء، بعدم ذكر أسماء النساء اللواتي لأسمائهن مكان في بيوت الخلفاء، والأمراء، والقادة، والممدوحين (١٢٠) .

روى حمّاد الراوية شعر ربيعة بن رياح، وهو أبو سلمى والد الشاعر المشهور زهير بن أبي سلمى ولم يروِ هذا الشعر غيره (١٢١)، والشعرُ موجودٌ في ديوان زهير (١٢٢) :

ولنا بقدسٍ فالبقيعِ إلى اللوى رجع إذا لهث السبنتي الوالغُ

وادٍ، قرارٌ ماؤهُ نباتـــــه ترى المخاضَ بهِ ووادٍ فـارغُ

صُعُد نحرزُ أهلنا بفروعـــهِ فيهِ لنا حرزٌ وعيشٌ رافـــغُ

وكذلك روى حمّاد الراوية شعراً لأوس بن أبي سلمى، حين عُرض عليه الإسلام فأبى أنْ يسلم، ولم يروِ هذا الشعرَ غيره (١٢٣) ، والشعر موجود في ديوان زهير بن أبي سلمى (١٢٤) :

أ حسبتني في الدينِ تابعة أو لو حللت على بني سهمِ
منعوا الخزايةَ عن بيوتهم بأسةٍ وصفائحٍ خـــــذمِ
ولقد غدوتُ على القنيصِ بسابحٍ مثل الوذيلةِ جرشعٌ لأمِ
قيدَ الأوابدِ ما يغيبها كالسيدِ لا ضرجٍ ولا قحمِ

قال المرزباني (١٢٥) : (أخبرني محمد بن عبدالله البصري، قال : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، قال حدثنا عبدالله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي قال : قرأَ حمّادُ الراوية على ذي الرمّة شعره، فرآه قد ترك لاماً، فقال له : وإنَّكَ لتكتبْ ؟ قال أكتم عليّ، فأنَّهُ كان يأتي باديتنا خطاطٌ يعلمنا الحروفَ تخطيطاً في الرمل في الليالي المقمرة، فاستحسنتها، فثبتت في قلبي، ولم تخطها يدي)، هذا الخبر معروف عند الرواة والنقاد (١٢٦) .

ومن أخبار حمّاد الراوية، الدالة على سعة حفظه ما قاله الهيثم بن عدي (١٢٧) : (لم يكن الحسن بن عمارة يروي من قصيدة حارثة بن بدر اليربوعي إلا ثلاثة أبياتٍ هي :

اللهُ يجزي سعيدَ الخيرِ نافلـةً أعني سعيدَ بن قيسٍ قرمَ همدانِ
أنقذني من شفا غبراءَ مظلمةٍ لولا شفاعتهُ أُلبستُ أكفانـــي
قالتْ تميمُ بن مرٍ : لا نخاطبه وقد أبتْ ذلكم قيسُ بن عيلانِ

وأخذتُ الشعرَ كلّهُ من حمّاد الراوية فقلت له : ممنْ أخذته، قال : من سماك بن حرب، وأنشد تمام القصيدة وهو :

أساغٍ في الحلقِ ريقاً كان يجرضني وأظهرَ اللهُ سري بعدَ كتمـانِ
أنى تداركني عفّ شمائلـــه آباؤهُ حينَ ينمي خيرُ قحطانِ
ينميهِ قيسٌ وزيدٌ والفتى كرب وذو جبائر من أولادِ عثمـانِ
وذو رعينٍ وسيفٍ وابن ذي يزن وعلقم قبلهم أعني ابن نبهـانِ)

وقال أبو الفرج الأصفاني (١٢٨) : (أخبرني عمي قال : حدثنا الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي عن حمّاد الراوية، وأخبرني هاشم الخزاعي، قال : حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : دخلَ قومُ من بني ضبّة على الفرزدق فقالوا : قبحكَ الله من ابن أختٍ، قد عرضتنا لهذا الكلب السفيه ؛ يعنون جريراً حتى يشتم أعراضنا ويذكر نساءنا، فغضب الفرزدق وقال : بل قبحكم الله من

أخوالٍ، فوالله لقد شرفكم من فخري أكثر مما أغضبكم من هجاء جرير .... الخ) وقد أخذ الفرزدق يعدد من هجاهم من الشعراء .

حرص ملوك الحيرة على حفظ أشعار العرب وتدوينها، فقد روى حمّاد الراوية قائلاً (١٢٩) : (أمرَ النعمانُ فنسختْ له أشعار العرب في طنوجٍ ثم دفنها في قصره الأبيض، ولما كان المختارُ بن أبي عبيد الثقفي، قيلَ له : إنَّ تحتَ القصرِالأبيض كنزاً فاحتفره فأخرج تلك الأشعار) وقد أيد صحة هذه الرواية محمد ابن سلّام الجمحي (١٣٠) .

قال الرقاشي (١٣١) : (أخبرنا أبو هفان أنَّ رقبةَ بن مصقلة طرح نفسه بقرب حمّاد الراوية في المسجد، فقال له حمّاد : ما لكَ ؟ قال : صريع فالوذج، قال له : عند من ؟ فطالما كنت صريع سمك مملوح خبيث، قال : عند من حكم في الفرقة وفصل الجماعة، قال : وما أكلتم عنده ؟ قال : أتانا بالأبيض المنضود، والموز المعقود، والذليل الرعديد، والماضي المودود). أرجح أنَّ ما قاله حمّاد الراوية هو تعريض سياسي بالحكم العباسي، لأنَّهُ كان يتقاطع معهم عقاديا وفكريا.

ومن أخبار حمّاد الراوية قوله (١٣٢) : (إنَّ الحجاج سهر ليلةً بالكوفة فقال لحرسه : ايتني بمحدثٍ من المسجدِ، فأتوهُ بسبرة بن الجعد، فدخل وسلم بلسانٍ ذلقٍ وقلبٍ شديدٍ، فقال الحجاجُ : ممنْ الرجل ؟ قال : من بني شيبان، قال : ما اسمك ؟ قال : سبرة بن الجعد، قال : يا سبرة، قرأت القرآن ؟ قال : قد جمعته في صدري، فإنْ عملتُ به فقد حفظته، وإن خالفته فقد ضيعته، فاتخذهُ الحجاج سميراً، فما كان يطلبُ شيئاً من الحديث، إلا وجد عنده منه، وكان يرى رأي الخوارج، وكان من أصحابِ قُطري بن الفجاءة المازني التميمي – والفجاءة هي أمه – وكانت من بني شيبان، وهو من بني تميم، وكان قُطري يومئذٍ يحاربُ المهلب، فبلغَ قُطرياً ما كان من سبرة مع الحجاج، فكتبَ إليه من جملة قصيدة :

لشتانَ ما بينَ ابنَ جعدٍ وبيننا

فلما قرأ كتابهُ بكى، ركبَ فرسهُ، وأخذَ سلاحهُ، ولحقَ بقُطري، فطلبهُ الحجاج، فلمْ يقدر عليه، ولم يرعَ الحجاج، إلا وكتابٌ فيه شعرُ قُطري، الذي كان كتبَ به إليه، وفي أسفل الكتاب أبياتٍ من جملتها :

فمنْ مبلغٌ الحجاجَ أنّ سميرهُ قلى كلّ دينٍ غيرَ دينِ الخوارجِ

فطرح الكتاب إلى عنبسة بن سعيد وقال : هذا من سميري الشيباني، وهو خارجي ولا نعلم به؛ أراد حمّادُ الراوية، أنْ يقول في خلاصة روايته هذه، أنّ الحجاج بن يوسف الثقفي، كان محترقاً من الخوارج، إذْ تسللوا الى إمارته، وأخذوا عطاءه، وهو غافلٌ عن ذلك، الى أنْ أشار إليه قُطري زعيم الخوارج بذلك، ولولا ذلك ما عرف الحجاج، بهذا الخرق مطلقاً .

روى ابنُ قتيبة خبراً (١٣٣) نقلاً عن الهيثم بن عدي عن حمّاد الراوية عن مشايخ طيّء قالوا : كانت عنبة بنت عفيف، أم حاتم لا تُليقُ (١٣٤) شيئاً سخاءً وجوداً، فمنعها أخوتها من ذلك فأبت، وكانت موسرةٌ، فحبسوها في بيتٍ سنة، يطعمونها قوتها، رجاءَ أنْ تكفَّ، ثم أخرجوها بعد سنة، وظنوا أنها قد أقصرتْ، ودفعوا إليها صرمة (١٣٥)، فأتتها امرأة من هوازن، فسألتها فأعطتها الصرمة، وقالت : والله لقد مسني من الجوع ما أليتُ معه ألا أمنعَ سائلاً شيئاً، وقالت :

١– لعمري لقدما عضني الجوعُ عضةً فآليتُ ألا أمنعَ الدهرَ جائعـــــا
٢– فقولا لهذا اللائمي الآنْ : اعفني فإنْ أنتَ لم تفعلْ فعضَ الأصابعـــا
٣– فماذا عساكم أنْ تقولوا لأختِكم سوى عللكم أو عذلِ من كان مانعا
٤– ولا ما ترون الدهرَ إلا طبيعة فكيف بتركي يابن أم الطبائعـــا

ونقل أبو الفرج الأصفهاني خبراً عن جعفر بن قدامة قال : حدثني محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي، عن الهيثمِ بن عدي، عن حمّادِ الراوية قال (١٣٦) : لما قدم الحجاجُ العراقَ، قال العُديل بن فرخ :

١– دعوا الجُبنَ يا أهلَ العراقِ فإنَّمـا يهانُ كلّ منْ لا يقاتـــلُ
٢– لقد جرّدَ الحجاجُ للحقّ ســيفهُ ألا فاستفيقوا لا يميلنَ مائـلُ
٣– وخافوهُ حتى القومُ بين ضلوعهم كنزو القطا ضُمتْ عليه الحبائلُ
٤– وأصبحَ كالبازي يقلبُ طرفـهُ على مرقبٍ والطيرُ منهُ دواحلُ (١٣٧)

فقال الحجاجُ لأصحابه : ما تقولون ؟ قالوا : نقولُ : إنَّهُ مدحكَ، فقال : كلا، ولكنَّهُ حرضَ عليّ أهل العراق، وأمر بطلبهِ، فهربَ، فقال :

١– أخوفُ بالحجاج حتى كأنّما تحركَ عظمٌ في الفؤادِ مهيـــضُ
٢– ودونَ يدّ الحجاجِ من أن تنالني بساطٌ لأيدي الناعجاتِ عريضُ

٣- مهامُهُ أشباهٌ كان سرابهـا ملاءٌ بأيدي الفاسلاتِ رخيـصُ

فجدَّ الحجاج في طلبه، حتى ضاقتْ عليه الأرضُ بما رحبت، فأتى واسطاً وتنكرَ، وأخذَ رقعةً بيدهِ، ودخل إلى الحجاج، في أصحابِ المظالم، فلما وقفَ بين يديه أنشأ يقول:

١- ها أنا ذا ضاقت بي الأرضَ كلهـا إليكَ وقد جوّلتُ كلِّ مكانِ

٢- فلو كنتُ في ثهلانَ أو شعبتي أجأ لخلتُكَ إلا أنْ تصدّ ترانـي

فقال الحجاج : العُديلُ أنتَ ؟ نعم أيُّها الأمير، فلوى قضيبُ خيزرانٍ، كان في يده في عنقه، وجعل يقول : إيه

بساطٌ لأيدي الناعجاتِ عريضُ

فقال : لا بساطَ إلا عفوكَ، قال : اذهبْ حيثُ شئتْ .

قال حمّاد الراوية : أتيتُ مكة فجلستُ في حلقة منها، فيها عمر بن أبي ربيعة القرشي، وإذا هم يتذاكرون العذريين وعشقهم وصبابتهم، فقال عمر بن أبي ربيعة : أحدثكم عن بعضِ ذلك، كان لي خليلٌ من عذرة يكنى أبا مُسهر، وكان مُستهتراً بأحاديثِ النساءِ، يصبو بهن وينشد فيهن، على أنَّهُ كان لا عاهرُ الخلوةِ، ولا حديث السلوة، وكان يوافي الموسم في كلِّ سنةٍ، فإذا أبطأ ترجمتُ له الأخبار، واستوقفت له السفار ..... الخ (١٣٨) .

ومن أخبار حمّاد الراوية، ما رواهُ المرزباني في قوله (١٣٩) : وجدتُ بخط ابن مهرويه : حدثني أبو محمد، قال : حدثني حمّاد قال : قال ابن مناذر : قلتُ :

يقدحُ الدّهرُ في شماريخَ رضوى

ثم مكثتُ حولاً، فسمعتُ قائلاً يقول : هبود، فقلتُ : ما هبود؟ قال : جبل في بلادنا، فانفتح لي الشعر وقلتُ :

ويحطُ الصخورَ من هبّود) .

وهذا يؤكد أنَّ الشعر لا يتأتى للشاعر في كلِّ الأوقات، وربما شئٌ طارئٌ يسمعهُ الشاعر، فينثالُ الشعر على لسانه .

ومن أخبار حمّاد الراوية، ما ذكره عن المرميَّين من القبائل والنَّحل، وكيف يصنعُ الخُنَّاقُ، وسمِّي بعضهم فقال (١٤٠) :

إذا سرتَ في عجلٍ فسرْ في صحابةٍ وكندةٍ فاحذرها حذاركَ للخسفِ
وفي شيعةِ الأعمى زيارٌ وغيلــةٌ وقشبٌ وإعمالٌ لجندلةِ القــذفِ
وكلّهم شرٌّ على أنّ رأسهـــــم حميدةُ والميلاءُ حاضنةُ اكسـفِ
متى كنتُ في حيّي بجيلةٍ فاستمــعْ فإنّ لهم قصفاً يدلُّ على حتــفِ
إذا اعتزموا يوماً على خنقِ زائــرٍ تداعوْا عليهِ بالنَّباحِ وبالعزفِ

وذكرحمّادُ الراوية أَنَّ زُهيرَ بن جنابٍ الكلبي عاش أربعمائة وخمسين سنةً، فقال (١٤١): (قال الشَّرقيُ بن القطامي : عاش زُهير أربعمائة سنة، فرأته ابنةٌ له فقالت لابنٍ لها : خُذْ بيد جدّك، فقال له : من أنتَ ؟ فقال : فلانُ بن فلان بن فلانة ؛ فأنشأ يقول :

أَبَنِيَّ إنْ أَهْلكْ فقــدْ أورثتُكم مجداً بَنِيَّةْ
كُلَّ الذي نالَ الفتى قدْ نِلْتُهُ إلا التَّحيَّةْ
فالموتُ خيرٌ للفــتى فَلْيَهْلَكنْ وبهِ بَقيَّةْ
مِنْ أنْ يُرى تَهْديه وِلـ.....دانُ المُقامَةِ بالعَشِيَّةْ
وَلقدْ رأيْتُ النّارَ لِلسـ.....سُلاّفِ تُوقَدُ في طَمِيَّةْ
وَلقدْ رحلتُ البازِلَ الـ.....وَجْناءَ ليسَ لها وَلِيّةْ
وَنطقتُ خُطبةَ ماجِدٍ غَيْرَ الضَّعيفَةَ وَالعَيِيَّة
وَلقدْ غدَوْتُ بِمُشرِفِ الطْ...طَرَفَيْنِ لمْ يَغْمِزُ شَظِيَّةْ
فَأصبحتُ من حُمرِ القَنا....نِ معاً ومن حُمرِ القَفِيَّةْ

والسجستاني قريبٌ من هذا، فقال (١٤٢) : عاش أربعمائة و عشرين سنة، أما لقيطُ فقد قال : عاش ثلثمائة وخمسين سنة، فيما قال الشرقيُ بن القطامي : عاش أربعمائة سنة . فهم لم يتفقوا على رقم معين، ولكلٍّ منهم روايته الخاصة . ولكنهم متفقون جميعًا أنَّهُ من المعمرين .

روى حمّاد الراوية عن سماك بن حرب أنَّ العرب (١٤٣) : (كانت العرب تقدر الخيل التي عندها وتعزها، وتقتص من لطمة الفرس، وتُعيّرُ بذلك، وتطلب الثأرَ فيه، كما تطلبه في أنفسها، ولا تلطم بلطمة البعير) .

قال الهيثم بن عدي عن حمّاد بن ابي ليلى قال [١٤٤] : كانت بنو عمرو بن أسد بن خريمة قيوناً (حدادين) كان منهم سريج الأول وسريج الاخر اللذان ضربا السيوف السريجية، وسريج الذي يقول:

ولا أشري بني أســـد بحيّ ولا أن ســـرّني أبداً بقينِ
أحدّ حديدهم وأصول عنهمُ صدور الخيل أمّا أخبروني

هذهِ هيَ الأخبارُ التي استطعتُ الوقوف عليها، وعذراً إنْ فاتني رأيٌ نقديٌ لحمّاد الراوية، أو خبرٍ لم أقفْ عليه، فالإحاطة بالموضوعِ كاملاً مستحيلةً، لأنّ الله سبحانه وتعالى كتبَ الكمالَ لنفسه ولكتابه العزيز القرآن الكريم، والبشر جبلوا على النقص .

خاتمة الفصل

ثبت لنا بما لا يقبل الشك أنَّ حمّاد الراوية، هو كبيرُ رواة الشعر العربي، ومن النقاد المقدمين في هذا الفنِ من الأدب، فضلاً عن كونهِ إخبارياً مهماً وصلتْ عبر قناته الاخبارية معظم أخبار الشعراء ومناسبات قولهم الشعر، وآراءُ الشعراء والنقاد بما قيل ؛ وأنشد من الشعر في مجالس الخلفاء والأمراء والولاة، وبذلك فأنَّ حمّاد الراوية عالمٌ موسوعيٌ، له باعٌ طويلٌ في روايةِ الشعرِ، ونقدهِ، وأخبار الشعراء ، ولم يكنْ هكذا فحسب بل صنفَ كُتباً متعددة منها كتابه المفقود ((أشعار العرب)) و ((أشعار الرّباب))، كما جمع شعر امرئ القيس، وصنعَ منه ديواناً، هو الانْ قيد التداول بين القراء، كما أكدَ ذلك العالم الراوية الأصمعي في قوله : (كل ما بين أيدينا من شعر امرئ القيس فهو برواية حمّاد، إلا نتفا سمعتها عن أبي عمرٍو بن العلاء، وأعرابٍ)، وكذلك جمع شعر زهير بن أبي سلمى، وقد أكد هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب، وكذلك جمع شعر الحطيئة، وقد أكد هذه الحقيقة السُكري في شرحه لشعر الحطيئة، وبذلك فأنّ حمّاد الراوية اسمٌ على مسمى، ولولاهُ لطويت صفحاتٍ كبيرةٍ من الشعر والنقد والآخبار، والحمدُ لله أولاً وآخراً .

الهوامش

١- الفهرست : ١٠٤
٢- المعارف : ٣٣٣
٣- معجم الأدباء والمؤلفين : ١٠ / ٢٦٠

٤- الأغاني : ٦ / ٦٨

٥- الأغاني : ٦/ ٦٨ ـ ٦٩، معجم الأدباء والمؤلفين : ١٠ / ٢٦٠

٦- الأغاني : ٦/ ٨٧

٧- م . ن : ٦ / ٨٣

٨- م . ن : ١٠ / ٢٦٥

٩- طبقات فحول الشعراء : ١ / ٤٨، حلية المحاضرة : ١ / ٣٥

١٠-المصون في الأدب : ٥

١١-الفهرست : ١٠٣

١٢- الأغاني : ٦ / ٩٤

١٣- شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٥٨ الهامش الثالث ، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ٢٤٥

١٤- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ٣١٣، (ولم يروها المفضل من كتاب حمّاد، وقُرِأَتْ على أبي عمرو الشيباني) ولم يعترضْ عليها، مما يؤكد صحة روايتها، وفي الوقت نفسه يؤكد أنَّ المفضل الضبّي كانت عنده نسخة من كتاب حمّاد الراوية.

١٥- شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٥٨

١٦- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ٢٤٦

١٧- ديوان المفضليات برواية ابن الأنباري : ٣٣

١٨- الأغاني : ١٧ / ٣١٩ – ٣٢٠

١٩- مختارات أشعار العرب : ٤٤١

٢٠- م . ن : ٤٥٦

٢١- شرح ديوان الحطيئة : ٣١٣

٢٢- م . ن : ٢٣٧

٢٣- الإشتقاق : ١٨٠

٢٤- مصادر الشعر الجاهلي : ٥٤٣ ـ ٥٤٤

٢٥- الفهرست : ٢١٠، ٨٦

٢٦- نزهة الألباء : ٩٤، الفهرست ٧٥

٢٧- خزانة الأدب ١ / ٢٧٥ صنع الأصمعي ديوان هُذيل، فيما صنع محمد بن حبيب أشعار بني شيبان، خزانة الأدب : ١٠ / ٩٣

٢٨- المؤتلف والمختلف : ٢٢

٢٩- معجم الأدباء والمؤلفين : ٤ / ١٤٥، وفيات الأعيان : ٢ / ٢٠٥

٣٠- شرح القصائد العشر المذهبات : ٥

٣١- شرح القصائد التسع المشهورات : ٦٨٢، معجم الأدباء والمؤلفين :٢٦٦/١٠

٣٢- الأنباري وابن الأنباري، ابن النحاس، الزوزني، التبريزي ...الخ

٣٣- مراتب النحويين : ٧١

٣٤- ديوان امرئ القيس : ٤٠٢

٣٥- م . ن : ٤٠٤

٣٦- م . ن : ١٤٤

٣٧- م . ن : ١٤٧

٣٨- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ينظر الصفحات : ٦٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦١، ٢٦٢، ٣١١، ٣١٣، ٣٢٦

٣٩- شعر زهير بن أبي سلمى : ينظر الصفحات : ٤٥، ٥٨، ٦٣، ٦٥، ٧٨، ١٤٤، ١٢٢، ١٦٧، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٥٨

٤٠- شرح ديوان الحطيئة : ٣١٣

٤١- م . ن : ٣١٣

٤٢- م . ن : ٢٣٧

٤٣- الأغاني : طبعة ساسي : ١٦ / ١٥٩، ونشوة الطرب : ٦٢٦/٢

٤٤- ديوان عمرو بن قميئة : ٣٨

٤٥-دلائل الإعجاز : ٤٩٥، الأغاني : ٩ / ١١٠ وجاء فيها يحيى بن سُليم ...، وينظر معاهد التنصيص : ١ / ١٩٧

٤٦- الأغاني : ١٨ / ٩، خزانة الأدب : ١ / ١٠٧

٤٧- طبقات فحول الشعراء : ١ / ٥٥، ونقل هذا الخبرُ مُطلقاً ولم يعزه لأحد مجد الدين النشابي الأربلي في كتابه المذاكرة في ألقاب الشعراء : ١٣٨

٤٨- الأغاني : ١١ / ٧ ـ ٨ ، فيما قال أبو علي الحاتمي : أخبرني محمد بن عبد الواحد عن يحيى عن ابن الأعرابي عن المفضل الضبّي عن حمّاد الراوية قال : أوجز الأمثال:

١- قول النابغة : ولا قرار على زأر من الأسد

٢- وقوله : إذا فلا رفعت سوطي إليّ يميني

٣- وقوله : وليس وراء الله للمرء مذهبُ ، ينظر حلية المحاضرة : ١/٢٥٥ ، و ١/ ٢٤٣، وينظر العمدة في محاسن الشعر ونقده : ١/٢٨٢، وشرح نهج البلاغة : ٥/ ٨٤٣

٤٩- ديوان النابغة الذبياني : ١٧

٥٠- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ٣٢٥

٥١- شرح الكافية : ٤ / ٤٨٧، شرح شواهد المغني : ١٢٧

٥٢- خزانة الأدب : ١١/ ٢١٧

٥٣- الأغاني : ٨ / ٢٨٥، ٨ / ٣٠٥

٥٤- أمالي اليزيدي : ٨٠، الأغاني : ٨ / ٢٨٣

٥٥- الأغاني : ٨ / ٥

٥٦- م . ن : ٨ / ٢٨٥، ٨ / ٣٠٥

٥٧- شرح اختيارات المفضل الضبّي : ١١٣٣ ـ ١١٣٤

٥٨- م. ن : ١١٣٠

٥٩- شرح ديوان الحطيئة : ٤٤ ـ ٥٢

٦٠- مختارات أشعار العرب : ٤٢١

٦١- الأغاني : ١ / ٧٥

٦٢- العقد الفريد : ٥ / ٢٧١، وينظر ديوانه : ١١

٦٣- م . ن : ٤ / ٢٦٢

٦٤- م . ن : ١٨ / ٩

٦٥- م . ن : ١٨ / ٨، وينظر خزانة الأدب : ٩ / ١٣٧ وأضاف : وكان الفرزدق وجرير يحسدانهِ .

٦٦- الأغانـي : ٨ / ٣٦ – ٣٧

٦٧- المزهــر : ٢ / ٣٦٠

٦٨- العقد الفريد : ٢ / ٢٦٩

٦٩- م . ن : ٥ / ٣٠٧ – ٣٠٨

٧٠- م . ن : ٥ / ٣٣٠

٧١- منح المدح : ٢٣٤، وينظر خزانة الأدب : ٣ / ١٧٢ – ١٧٣

٧٢- الموشــح : ٢٥٢

٧٣- أمالي المرتضى : ١ / ٩٥

٧٤- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ٣٢٥

٧٥- الأغـاني : ٢١ / ٢٠١، وينظر معاهد التنصيص : ١/ ١٧٦ـ١٧٧، وخزانة الأدب : ١١ / ٢٨١

٧٦- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ٨٦، ٣٢٦

٧٧- ينظر الطبقة الجاهلية الأولى عند محمد بن سلّام الجمحي

٧٨- فحولة الشعراء : ٩

٧٩- حلية المحاضرة : ١ / ٣٢٨

٨٠- جمهرة الأمثال : ١ / ٧٧، وجاء الخبرُ في الأغاني : ٦/ ٧٩، قال قدامةُ ابن جعفر نقلاً عن أحمد بن أبي طاهر : بلغني أنَّ رجلاً تحدث في مجلس حمّاد الراوية فقال : بلغني أنَّ المأبونَ لهُ رحمٌ كرحم المرأة . وكان الرجل يرمى بهذا الداء . فقال حمّاد الراوية لغلامه : أكتب هذا الخبر عن الشيخ فإنَّ خيرَ العلمِ ما حُمِلَ عن أهلهِ . والمأبونُ هو الشاذُ جنسياً.

٨١- الأغاني : ١٥ / ٣٧٦ ـ ٣٧٧ ، والخبرُ نقله الأصفهاني برواية ثانية عن عبدالله بن قتادة المحاربي ، ينظر الأغاني : ١٥/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨، ويلاحظ شرح ديوان لبيد بن ربيعة : ٧٢، ١١٨

٨٢- ديوان لبيد بن ربيعة : ١٠٣

٨٣- م . ن : ١٥١

٨٤- هو من شعراء الطبقة الثالثة في طبقات فحول الشعراء : ١ / ١٢٣

٨٥- الأغاني : ٨ / ٣٧، ١٨ / ٧، خزانة الأدب : ١٠٧

٨٦- الشعر والشعراء : ١/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠

٨٧- ديوانـــه : ٥٩

٨٨- الأغانـــي : ٩ / ١١٧ – ١٨٨

٨٩- ديوانـــه : ١١٧

٩٠- الشعر والشعراء : ١ / ٥٠٤ ـ ٥٠٧، وينظر العقد الفريد : ٢ / ٨٦

٩١- سورة التوبة الآية : ٦٠

٩٢- العقد الفريد : ٢/٧٠

٩٣- الأغاني : ٨ / ١٤٧ ـ ١٤٩،

٩٤- مختارات أشعار العرب : ٤١٠ ـ ٤١١

٩٥- الأغاني : ١٦ / ٧٨، الشعر والشعراء : ٢ / ٧٦٧، العقد الفريد : ٦ / ٤٥٨، أنباه الرواة على أنباه النحاة : ١ / ٣٦٦ – ٣٦٧

٩٦- الكامل في اللغة والآدب : وأنظر الخبر في فتوح الإسلام : ١١١ وفيه قالت ليلى : فقلتُ لأبي، يا أبه أ شهدتَ ذلك اليوم مع أبيك ؟ قال : إي واللهِ يا بنية، قلتُ : كم كانتْ خيلُ أبيك هذه التي وصفت ؟ قال : ثلاثُ أفراسٍ ؛ وقبيلة طيّء : ٣٠٣

٩٧- الحماسة الشجرية : ٧٤

٩٨- مروج الذهب : ٣ / ١٤٩

٩٩- ذم الهوى : ٤٣٣

١٠٠- تاريخ دمشق : ج١٩ / ق ٢٦٢ نقلا عن ديوان ليلى الأخيلية

١٠١- الأغاني : ١١ / ٢٤٤

١٠٢- سمط اللآلىء : ١ / ١١٩

١٠٣- الف با : ٢ / ٣١٤

١٠٤- ديوان الصبابة : ١٨٤، في هامش تزيين الأسواق

١٠٥- ديوان ليلى الأخيلية : ٣٤، ويلاحظ الهامش ١٣٢

١٠٦- الأغاني : ٦ / ٦٩ . ٧٠

١٠٧- سورة الشعراء، الآية : ٦١

١٠٨- سورة الأنفال ؛ الآية : ٤٨

١٠٩- م . ن : ٦ / ٧٠

١١٠- سورة النحل، الآية : ٤٧،

١١١- المؤتلف والمختلف : ٤١ ، وينظر العقد الفريد : ٤/ ٤٣١ وفيه أنَّ الذي أرسل إليه هو الوليد بن يزيد، وينظر الأغاني : ٦ / ٧٢ . ٧٤

١١٢- وفيات الأعيان : ٢/ ٢٠٩

١١٣- م . ن : ٦ / ٧٧– ٧٨

١١٤- م . ن : ٦ / ٧٨ – ٧٩

١١٥- م . ن : ٦ / ٨٣ – ٨٤، والشعر في ديوانه : ٢٥

١١٦- وفيات الأعيان: ١٩ / ٩٢، وينظر خزانة الأدب : ٨ / ٤٣٧

١١٧- شعراء إسلاميون : ٢٦٦ ـ ٢٦٧

١١٨- الأغاني : ١٨ / ٢٣

١١٩- الموشح : ٣٠٤

١٢٠- عيار الشعر : ١٦٣

١٢١- المذاكرة في ألقاب الشعراء : ٥٤

١٢٢- شرح ديوان زهير برواية ثعلب : ٣٦٧

١٢٣- المذاكرة في ألقاب الشعراء : ٥٤

١٢٤- شرح ديوان زهير برواية ثعلب : ٢٥٣ – ٢٥٥

١٢٥- الموشح : ٢٣١

١٢٦- م . ن : ٢٣١

١٢٧- الأغانـي : ٨ / ٤١٠

١٢٨- م . ن : ٢١ / ٣٩٦ – ٣٩٧

١٢٩- الخصائص : ١ / ٣٨٨، وينظر العقد الفريد : ١/ ٣٢٩

١٣٠- طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢٥

١٣١- العقد الفريد : ٦ / ٣٠٤

١٣٢- لا تليق : لا تمسك

١٣٣- الصرمة : القطعة من الإبل، اختلف في عددها فهي بين العشرة والخمسين.

١٣٤- العقد الفريد : ٦ / ٢٩٤، طبعة دار الهلال .

١٣٥- وفيات الأعيان : ٢ / ٣٦ – ٣٧

١٣٦- الأغاني : ٢٢ / ٣٧٣ – ٣٧٥

١٣٧- دواحل : مفردها دحل ومعناها فرّ واستترَ

١٣٨- العقد الفريد : انظر الخبر في الصفحات : ٦ / ٤٤١ – ٤٤٦

١٣٩- الموشح : ٣٦٨ – ٣٦٩

١٤٠- الحيوان : ٢ / ٣٩١

١٤١- الأغاني : ١٩ / ٢١ – ٢٢، وأشعار كلب بن وبرة : ١/١٧٦–١٧٨

١٤٢- المعمرون : تنظر الصفحات : ٣١، ٣٢، ٣٦

١٤٣- حلية الفرسان وشعار الشجعان : ٣٦

١٤٤- المثالب: ١٣٢. المصدر : المثالب – للهيثم بن عدي الطائي (ت٢٠٩هـ) حققه وضبط نصوصه التاريخية الشيخ محمد حسن الحاج مسلم الدجيلي– مطبوعات دار الأندلس، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، بيروت– لبنان.

المصادر والمراجع

١- الاشتقاق ـ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، شرح وتحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر .

٢- الأغاني ـ أبو الفرج الاصفهاني، مصورة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر، القاهرة .

٣- الأغاني ـ نسخة ثانية، طبعة ساسي .

٤- الأغاني – نسخة ثالثة، طبعة الثقافة .

٥- الأمالي ـ لليزيدي أبوعبدالله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن يحيى بن المبارك، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المثنى، القاهرة .

٦- أنباه الرواة على أنباه النحاة – للوزير جمال الدين أبي الحسن بن يوسف القفطي (ت٦٢٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي،القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

٧- حلية الفرسان وشعار الشجعان – لعلي بن عبدالرحمن بن هُذيل الأندلسي، تحقيق محمد عبدالغني حسن، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٨ م .

٨- حلية المحاضرة من صناعة الشعر ـ أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، تحقيق د.جعفر الكناني، دار الرشيد، بغداد .

٩- الحماسة الشجرية ـ ابن الشجري، تحقيق عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي، ١٩٧٠م، بيروت .

١٠- الحيوان – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٠هـ)، وضع حواشيه محمد باسل سود العيون، منشورت محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ، بيروت لبنان .

١١- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ عبدالقادر البغدادي، تحقيق عبدالسلام هارون، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

١٢- ديوان الأخطل – غياث بن غوث – اعتنى به وشرحه عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، بيروت – لبنان .

١٣- ديوان الأعشى الكبير ـ شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، بيروت .

١٤- ديوان امرئ القيس ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر .

١٥- ديوان الحطيئة ـ برواية ابن السكيت ، تحقيق د.نعمان أمين طه، ط١، ١٩٨٧م، القاهرة .

١٦- ديوان عمرو بن قميئة ـ تحقيق خليل العطية، دار الحرية للطباعة، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، بغداد .

١٧- ديوان لبيد بن ربيعة ـ دار صادر، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، بيروت .

١٨- ديوان المفضليات ـ الأنبا ري، ١٩٢٠م، بيروت .

١٩- ديوان النابغة الذبياني ـ المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان .

٢٠- دلائل الإعجاز – لأبي بكر عبدالقاهر الجرجاني ؛ قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع ؛ د . ت .

٢١- شرح اختيارات المفضل الضبّي ـ التبريزي، تحقيق فخرالدين قباوة، دار الكتب العالمية، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، بيروت .

٢٢- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى – برواية أبي العباس ثعلب (ت٢٩١هـ)، دار الكتب، ١٩٤٤م، القاهرة .

٢٣- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ـ صنعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني المعروف بـ ثعلب، تحقيق أحمد زكي العدوي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، لسنة ١٣٦٣هـ .

٢٤- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة – إعداد وتقديم وتحقيق علي ملكي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت) .

٢٥- شرح شواهد المغني ـ السيوطي، تصحيح وتعليق الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي، لجنة التراث العربي .
٢٦- شرح القصائد التسع المشهورات ـ أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق د.أحمد خطاب العمر، ١٩٧٣م، بغداد .
٢٧- شرح الكافية ـ محمد بن الحسن رضي الدين الأستربادي، مطبعة بولاق، ١٢٢٣هـ، القاهرة .
٢٨- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري – حققه وقدم له د.احسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٢م، الكويت .
٢٩- شرح المعلقات العشر المذهبات ـ التبريزي، مطبعة كارلس يعقوب لايل، طبع دار الأمانة .
٣٠- شعر زهير بن أبي سلمى ـ صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق د.فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط٣، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، بيروت.
٣١- الشعر والشعراء ـ ابن قيبة، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ١٩٨٢م، القاهرة .
٣٢- شعراء إسلاميون ـ صنعة د.نوري حمودي القيسي، مكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م، بيروت .
٣٣- طبقات فحول الشعراء ـ محمد بن سلام الجمحي، قراءة وشرح محمود محمد شاكر، مصر .
٣٤- العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الأندلسي، حققه وشرحه وعرف أعلامه الدكتور محمد التونجي، دار صادر، ط ٢، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦، بيروت .
٣٥- العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الأندلسي، تقديم الأستاذ شرف الدين، منشورات دار مكتبة الهلال، ط١، ١٩٨٦م .
٣٦- العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الأندلسي، شرحه وضبطه أحمد أمين وزميلاه، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م، القاهرة .

٣٧- العمدة في محاسن الشعر ونقده – أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٢، مطبعة السعادة، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م، مصر .
٣٨- عيار الشعر – محمد بن احمد بن طباطبا العلوي – تحقيق د.محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حزي وشركاه، ١٩٧٧م، مصر .
٣٩- فحولة الشعراء ـ الأصمعي، تحقيق ش ـ توري، قدم لها د.صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧١م .
٤٠- الفهرست ـ النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق، تحقيق رضا تجدد، طهران .
٤١- كتاب جمهرة الأمثال ـ أبو هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، مصر .
٤٢- المؤتلف والمختلف ـ الآمدي، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦١م، القاهرة
٤٣- مجلة المورد، المجلد : ٣٤، العدد : الثالث، لسنة ٢٠٠٧م .
٤٤- مختارات أشعار العرب ـ ابن الشجري، تحقيق محمد علي البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة .
٤٥- المعمرون والوصايا – لأبي حاتم السجستاني (ت٢٥٠هـ)، تحقيق عبدالمنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى بابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٦١م .
٤٦- منح المدح – لابن سيد الناس، تقديم وتحقيق عفت وصال حمزة، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، سوريا، دمشق .
٤٧- المذاكرة في ألقاب الشعراء – أبو المجد أسعد بن إبراهيم الشيباني الأربلي المعروف بمجد الدين النشابي الكاتب، (ت٦٥٧هـ)، تحقيق شاكر العاشور، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٨٨م، بغداد .
٤٨- مراتب النحويين ـ أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة نهضة مصر، ١٩٥٥م، مصر .

٤٩- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ـ د.ناصر الدين الأسد، ط٣، دار المعارف، ١٩٦٦م، مصر .
٥٠- المصون في الأدب ـ أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق عبدالسلام هارون، دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٦٠م، الكويت .
٥١- المعارف ـ محمد بن قتيبة، تحقيق وتقديم ثروت عكاشة، منشورات دار الشريف الرضي، ط١، ١٤١٥هـ، مصر .
٥٢- معجم الأدباء والمؤلفين ـ ياقوت الحموي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م، القاهرة .
٥٣- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص – الشيخ عبدالرحيم بن أحمد العباسي، (ت٩٦٣هـ)، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، ١٣٦٧هـ – ١٩٤٧م، مصر .
٥٤- الموشح – مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر – المرزباني أبو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت .
٥٥- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ـ أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر .
٥٦- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب – لابن سعيد الأندلسي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، ١٩٨٢م، عمان – الأردن .
٥٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط١، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م، مصر .

الفصل الثالث

شعرُ زُهير بن أبي سلمى في مروياتِ حمّاد الراوية

شعرُ زُهير بن أبي سلمى في مروياتِ حمّاد الراوية

حمّادُ الراوية، هو كبيرُ رواة الشعر العربي القديم كما نعرف، وإسمه حمّاد بن سابور بن المبارك بن عبيد المكنى بأبي القاسم (١) والملقب بالراوية، ولم يلقب بالراوية أحدٌ من رواة الشعر العربي غيره، وذلك لكثرة ما كان يروى من الشعر العربي القديم (٢) وحمّادُ الراوية، هو الذي اختار القصائد السبع المعلقات، وباسمه اقترنت (٣) وكذلك صنع ديوان أشعار الرباب (٤) وجمع أشعارالعرب في كتاب أسماه (أشعار العرب) ولكن الكتاب فُقِد مع ما فُقِد من كتب التراث الشعري، والكتاب كان قيد التداول، بين العلماء والرواة والنقاد، فقد رآهُ أبو حاتم السجستاني واطلع عليه (٥) وأبو العباس ثعلب (٦)، وصعوداء (٧) ونقلوا منه أشعارهم، وعنه وثقوا ما كانوا يروون من الشعرِ وينقلون، وحمّادُ الراوية هو الذي روى شعر امرئ القيس وعنه أخذهُ الرواةُ الآخرون، وقد أكد هذه الحقيقة العالم الراوية الأصمعي في قوله (٨) : ((كل شيءٍ في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حمّاد، إلا نتفًا سمعتها عن الأعراب وأبي عمرو ابن العلاء)) في أثناء قرائتي لشعر زُهير بن أبي سلمى، الذي صنعه الأعلم الشنتمري، وحققه د.فخرالدين قباوة، وشرح ديوان زُهير بن أبي سلمى، الذي صنعه أبو العباس ثعلب، وحققه أحمد زكي العدوي، وجدت ثلاث عشرةَ قصيدةً، نقلتْ من كتابِ حمّاد الراوية، وهذه القصائد تمثل أكثر من (٣٦٠) ثلثمائة وستين بيتًا من الشعر، ولا يعني هذا الرقم، هو كلُّ ما رواه حمّاد الراوية من شعر زهير، ولكنَّ هذا هو الذي أشارت إليه روايات الديوان صراحةً، ومع ذلك توزع الرواة والنقاد على صنفين، صنف يوثق مروياته، ويتداولها بكلِّ ثقةِ وإطمئنانٍ، وصفٌ يطعنُ بصحتها ويشكك فيها، ويتحرجُ من روايتها، وإذا ما وقفنا مع صفِ الرافضينَ لمروياتِ حمّاد الراوية، علينا أنْ نرفضَ القصائدَ المعلقاتِ، وأشعار امرئ القيس، وأشعار زهير بن أبي سلمى، وأشعار الحطيئة، لأنّ راويتها الأول هو حمّادُ الراوية، وعنه أخذها الرواةُ الآخرون، ولما كان ذلك مستحيل ومخالفٌ للعقلِ والمنطقِ، فعندئذ يكونُ حمّادُ الراوية من أوثقِ الرواةِ، كما قال أبو عمرو بن العلاء عن حمّاد الراوية(٩): ((ما سمع حمّادُ الراوية حرفاً قط، إلا سمعته)) وبذلك أكد الرجل صحة مرويات حمّاد الراوية، وفي الوقت نفسه ردَّ على المشككين بمروياته ومضعفاً حجتهم، وهذا أبو

عمرو الشيباني يقول (١٠) : ((ما سألتُ أبا عمرٍو عن حمّاد إلا قدمه على نفسه)) وبذلك علينا الأخذُ بمروياتِ حمّاد الراوية بكلِّ ثقةٍ وإطمئنانٍ، ونرمي وراءَ ظهورِنا ما أرادهُ الشعوبيون من الطعن بالتراث العربي، في أثناء التشكيك بكبارِ رواة الشعر العربي، ولم يسلمْ من الطعنِ أحدٌ من الرواةِ والشعراءِ .

إما زُهير بن أبي سلمى، فهو من كبار الشعراء الفحول في عصر ما قبل الإسلام، وهو شاعرُ الحكمةِ والسلامِ، وقد أجمعَ الرواةُ والنقادُ والعلماءُ على ذلك، فأبو عبيدة جعله ثانياً في الطبقة الجاهلية الأولى (١١) فيما جعله ابن سلَام ثالثاً في الطبقة الجاهلية ذاتها (١٢) وإما ابن قتيبه فقد جعله ثانياً في كتابه الشعر والشعراء، بعد امرئ القيس مباشرة (١٣) ولستُ هنا بصدد تحديد مستوى شاعرية زُهير بن أبي سلمى، لأنّهُ أشهرُ من علمٍ في رأسهِ نارُ، ولكنَّ اللافتَ للنظرِ هو موقفُ الأصمعيُ من شاعريةِ زُهير، فالأصمعيُ في موقفهِ من زُهير، مضطربُ الموازينَ والأقوالِ، ولم يقفْ على أرضيةٍ صلبةٍ، فكان رأيهُ متأرجحًا بين موقفين، يتمثل الأول في عدمِ رضاه، إنْ لم نقلْ عدم قناعته بشعرِ زُهير، فهو في كتابه فحولة الشعراء، كما يروي أبو حاتم السجستاني (١٤) : ((سألهُ رجلٌ أيُّ الناس طراً أشعر؟ قال : النابغة ... قلتُ فزُهير بن أبي سلمى، قال: اختلف فيه وفيهما، ثم قال : لا)) وهذا يعني أنَّ زهيراً ليس فحلًا عند الأصمعي، فهو من طريق ((أختلف فيه وفيهما))، اضطربَ عليه الموقفُ، ثم أضاف أبو حاتم السجستاني قائلاً (١٥) : ((قال الأصمعيُ وسأله رجلٌ وأنا أسمع : النابغة أشعرُ أمْ زُهير ؟ فقال : ما يصلحُ زُهير أنْ يكونَ أجيرًا للنابغة)) وهذا رفضٌ آخر لشاعريةِ زُهير، فيما تمثل الموقف الثاني، برواية الأصمعي شعر زُهير بن أبي سلمى، فهذا الأعلم الشنتمري يؤكد أنَّهُ إعتمدَ رواية الأصمعي، وذلك في خطبته في مقدمة شعر زُهير بن أبي سلمى (١٦) : ((وهي رواية عبدالملك بن قريب الأصمعي لتواطؤ الناس عليها واعتيادهم لها، واتفاق الجمهور على تفضيلها)) ويختمُ الأعلم الشنتمري مجموعه الشعري بقوله : (١٧) : ((كمُلَ شعرُ زُهير مما رواه الأصمعي)) ولابد من القول : إنَّ محقق ديوان زُهير بن أبي سلمى المحققُ الثبت د.فخرالين قباوة، كان رائعًا حينما صنع ذيلًا لشعر زهير، مما لم يروه الأعلم (١٨) ورواه ثعلب (١٩)، وصعوداء (٢٠) وبذلك أتم الفائدة للباحثين والقراء .

والقصائد التي رواها الرواةُ والنقادُ، ونقلوها من كتابِ حمّاد الراوية ((أشعارُ العرب)) هي كما يأتي :

أولاً : القصيدة المعلقة : معلومٌ لدى الباحثين والمتخصصين أنَّ حمّاد الراوية هو الذي إختارَ القصائدَ المعلقات، فقد قال ابن الأنباري (٢١) : ((حمّادُ الراوية، لما راى زهدَ الناسِ في حفظِ الشعر، جمعَ هذه السبع، وحضهم عليها وقال لهم : هذه المشهورات)) فالمشهوراتُ هي اسمٌ من أسماء المعلقات، أطلقه حمّاد الراوية على ما اختار من القصائد، وهي كما ياتي : قصيدةُ امرئِ القيس، وقصيدة طرفة بن العبد، وقصيدة زُهير ابن أبي سلمى، وقصيدة لبيد بن ربيعة، وقصيدة عمرو بن كلثوم، وقصيدة عنترة بن شداد، وأخيراً قصيدة الحارث بن حلزة، وقصيدة زهير بن أبي سلمى، هي الثالثة بينهن، وقد اتفقَ رواةُ المعلقات وشراحها جميعاً على صحة ذلك بغض النظر عن عدد القصائد (٢٢) .

ثانياً : القصيدةُ الثالثة في شعره ومطلعها (٢٣) :

صحا القلبُ عن سلمى وأقصرَ باطلهْ

وعريُ أفراسِ الصبا ورواحلهْ

روى حمّاد الراوية أنَّ سببَ نظم هذه القصيدة هو لما (٢٤) : ((قُتل حذيفةُ بن بدر في حربِ داحسٍ والغبراءِ، طمعَ عمرُو بن هند في غطفان، أنْ يصيب بها حاجته، فأرسل الى حصنِ بن حذيفة، وكان حصنُ والحليفان لم يدينوا لملكٍ قط : إنّي ممدك بخيلٍ ؛ فادخلْ في مملكتي واجعلُ لك ناحيةً من الأرض، فأرسل إليه حصن : ما كنت قطّ أفرغ لحربك مني الآنْ، ولا أكثر عدة، فإن كنت لا يكفيك، ما جرب أبوك . وكان قتله عمرو بن عمرو بن عبدالله الحنفي من ربيعة بن نزار . فدونك لا تعلل، فأنَّهُ ليس لي حصنٌ إلا السيوفَ والرماحَ، وأنا لك بالفضاء، وأقبل حصنُ بالحليفين أسد وغطفان حتى نزل زبالة، فصدَّ عنه عمرو بن هند، وكره قتاله، فقال زُهير هذه القصيدة)) وقد زاد صعوداء في روايته لهذهِ القصيدة بعد البيت الخامس والثلاثين ثلاثةُ أبياتٍ هي (٢٥) :

٣٦- ترى الجندَ والأعرابَ يغشونَ بابهُ

كما وردتْ ماءُ الكلابِ هواملهْ

٣٧- إذا ما أتوْا أبوابَهُ قال : مرحباً

لجوا البابَ حتى يأتي الجوع قاتلهْ

٣٨- فلو لم يكنْ في كفهِ غيرَ نفسِهِ

لجادَ بها فليتقي اللهَ سائلهْ

وهذه الأبيات الثلاثة، لم يروِها أبو عمرو بن العلاء، ولكنها وردتْ في رواية صعوداء، وهي موجودة في رواية حمّاد الراوية، إما إشكالية البيت الثالث، وهو متنازعٌ يتجاذبه مع زهير كلٍّ من : بكرُ بن نطاح (٢٦)، وزيادُ الأعجم (٢٧)، وعبدالله ابن الزبير الأسدي (٢٨)، وجريرُ الخطفي (٢٩) وأبو تمام الطائي (٣٠)، إلا أنَّ أبا تمام أخرج نفسه من دائرة المنازعة، حين عزا البيت صراحةً إلى زياد الأعجم (٣١) والراجحُ عندي أنَّ البيتَ لزهيرٍ، والشعراءُ اللاحقون له، ضمنوه أشعارهم بدلالة ورود البيت في شعر أبي تمام، إلا أنّ أبا تمام في الوحشيات، عزاهُ إلى الشاعر زياد الأعجم .

ثالثاً : القصيدةُ الرابعة في شعره ومطلعها (٣٢) :

إنَّ الخليطَ أجدَ البينَ فانفرقا وعلقَ القلبُ من أسماءَ ما علقا

هذه القصيدةُ وردتْ عند رواةِ الديوان مكونة من ثلاثةٍ وثلاثينَ بيتاً، باستثناء صعوداء الذي روى ستة عشر بيتًا إضافيًا وقال (٣٣) : ((لم يروِها أحدٌ من الرواة غير حمّاد)) وإذا ما تأملنا الأبيات الجديدة، سنجدها تمثلُ جزءًا مهمًا من القصيدةِ الناضجة، يتمثلُ في لوحة الرحلة، التي انفتحتْ على لوحة الصراع الدموي بين ثور الوحش، الذي أمضى ليلةً مطيرةً عاصفةً، خائفًا يرتقبُ انبلاج ضوءِ الفجرِ، وفعلًا ما إنْ لاحَ ضوءُ الصبحِ، حتى انطلقَ يعدو بأقصى سرعته، ولكنّ القدر كان له بالمرصاد، إذْ تعاورته كلابُ الصيادِ، ولما شعر أنّ الموتَ يرفرفُ فوقَ رأسهِ، كان عليه أنْ يدفعَ الموتَ عن نفسه، فكرَّ عليهن طعنًا بقرنيه، وركلًا برجليه، مما جعل الدماءُ تتدفقُ من جروحها العميقة والواسعة، فانحسرتْ الكلابَ عنه، بعدما استسلمتْ للموت، بعد تلقيها تلك الطعنات القاتلة والنافذة الى أجوافها، وليواصل الثور عدوه، مزهوًا بعد أنْ فاز بوسامِ الحياة، والملاحظ لهذه

اللوحة يجد أنَّ زهيرًا قد أكثر من استعمالها في شعره، فضلًا عن مطابقتها لإسلوبهِ الشعري، علمًا أنَّ رويات الديوان الأخرى وبطبعاتها المختلفة أدخلتها في رواياتها، ولم تعترض على صحة نسبتها لزُهير، ذلك لقناعتهم بصحتها، وأنا أرجحُ ذلك، وبذلك يكون عدد أبيات القصيدة تسعة وأربعينَ بيتًا وليس ثلاثة وثلاثين بيتًا، ورواية حمّاد الراوية أكدت أنَّ القصيدة استوفت شروطها الفنية (المقدمة، الرحلة، الغرض)، وهذا يمثلُ عصر نضج القصيدة العربية الذي وصلتْ إليه عند زُهير ومعاصريه الى صيغتها الفنية النهائية .

رابعاً : القصيدةُ العاشرة ومطلعها (٣٤) :

لمنْ الديارُ بقنا الحجرِ ؟ أقوينَ منْ حججٍ ومنْ شهرِ

هذه القصيدة لها قصة طريفة ذكرها أبو الفرج الأصفهاني (٣٥) مفادها أنَّ الخليفة المهدي العباسي جمعَ الشعراءَ والرواة وأعلام اللغة والأيام ومن ضمنهم حمّاد الراوية والمفضل الضبّي في قصره بعيسباد ؛ وأنَّ المهدي سأل المفضل عن هذه القصيدة التي ابتدأها زهير بقوله :

دعْ ذا وعدَ القولَ في هرمٍ خيرَ البداةِ وسيدَ الحضرِ

فأجاب المفضل : إنَّهُ أراد أن يقول قولًا، ولكنَّهُ عدلَ عنه، فقال البيت، ثم سأل حمّاد الراوية، فقال : ليس هذا مطلعُ القصيدة ؛ بل لها مقدمةٌ طلليةٌ تتكون ثلاثة أبياتٍ هي :

لمنْ الديارُ بقنا الحجـــــرِ؟ أقوينَ، منْ حججٍ، ومنْ شهرِ

لعب الزمانُ بها، و غيرها بعدي سوافي المورِ، والقطـــــرِ

قفراً بمندفعِ النحائتِ، من ضغوى أولاتِ الضالِ، والسـدرِ

فزعم الأصفهاني أنَّ المهدي، أغلظ الأيمان على حمّاد الراوية، حتى أقرَّ له أنَّهُ هو الذي صنع الأبيات الثلاثة وألحقها بالقصيدة .

هذا هو الخبرُ الذي ساقه الأصفهاني، ولكن ألا ترى أنَّ الوضع واضحًا في القصة ومكشوفاً، ولا يمكن أنْ ينطلي على أحدٍ، إذْ إنَّ رواة شعر زُهير بن أبي سلمى (أبو عمرو، والأصمعي، وثعلب، وصعوداء، والأعلم الشنتمري) رووْا القصيدة كما رواها حمّاد الراوية، وليس كما رواها المفضل الضبّي، ولم يعلقوا على القصيدة بشيءٍ،ولم يقولوا : إنَّ حمّاد الراوية، هو

الـذي صـنع مقـدمتها، وإذا مـا تفحصـنا الروايـة جيـدًا سـنجدها تسـيءُ الى المفضـل الضـبّي وتسلب منه صنعته، وهي رواية الشعر، فتظهرُهُ للنقاد والقراء، بأنَّهُ لا علمَ له بأجزاء القصيدة العربية الناضجة، المستوفية لتقاليدها ، وذلك من طريق عدم معرفة المفضل الضبّي، مقدمة قصيدة مشهورة بين الناس، يعرفها القاصي والداني ، والمفضل هو من رواتها، وإلا كيف سأله المهدي، إنْ لم يكنْ من رواتها، وواقع الحال يقول : إنَّ المفضل الضبّي من أوثق الرواة عند البصريين والكوفيين، وأثقفهم ولهُ دراية ومعرفة واسعتان في رواية الشعر ونقده، وهذا يؤكد أنَّ صناعة الرواية كانت في عصرٍ لاحقٍ لعصرِ حمّاد الراوية والمفضل الضبّي، ولم تكن صناعتها في عصرهما، وأنَّ المفضل الضبَي برئٌ من هذه الرواية الملفقة، براءة الذئب من دمِ يوسف بن يعقوب عليهما السلام، فضلاً عن الأدلة الثبوتية الآتية التي تدحض هذه الرواية وتسقطها جملةً وتفصيلاً وهي كما يأتي :

١- رواية الأصفهاني بدون سند، فمن هم الرواة الذين نقلوا الخبر ؟ أليست لهم أسماء؟ فمن هم ؟

٢- من هم العلماء الرواة بأيام العرب وأشعارها ولغاتها وأدبها، الذين حضروا في قصر المهدي ؟ لماذا لم تذكر أسماؤهم ؟

٣- إنَّ المصادرَ تؤكد أنَّ حمّاد الراوية توفي قبل أنْ يتولى المهدي الخلافة (٣٦) .

٤- إنّ المهدي انتقل الى قصره في عيسباد سنة ١٦٦هـ في حين أنَّ حمّاد الراوية توفي على أضعف الروايات سنة ١٥٨هـ (٣٧) .

٥- حمّادُ الراوية لم يتصل بخلفاء بني العباس، ولا بإمرائهم، وذلك لأنَّهُ كان أمويُ الهوي، فقد علق على ذلك بقوله (٣٨) : ((إنَّ أيام دولتنا قد مضت، وذلك حين دعي الى حضور مجلس جعفر بن المنصور)) .

٦- إنَّ القصيدةَ العربية الناضجة المستوفية لتقاليدها، تبدأ بمقدمة وفقا لما روى حمّاد الراوية وليس كما روى المفضل الضبّي .

٧- القصيدةُ في ديوان زُهير كما رواها حمّاد الراوية، وقد وثقها الأصمعي وشرحها الأعلم الشنتمري (٣٩) .

٨- القصيدةُ في مختاراتِ أشعار العرب لابن الشجري، كما رواها حمّاد الراوية، وقد شرحها أبو عمرو الشيباني، وأبو عبيدة (٤٠) .

٩- القصيدةُ في مختارِ الشعر الجاهلي، للأعلم الشنتمري، كما رواها حمّاد الراوية (٤١) .

١٠- فيما علقَ الأستاذُ أحمد محمد شاكر على هذه القصة في تحقيقه لكتابِ الشعر والشعراء قائلاً (٤٢) : ((هي قصةٌ ظاهرةُ الصنعةِ))، والأستاذ أحمد محمد شاكر من كبار أعلام النقد في الشعر العربي القديم، وقولهُ حجةٌ يعتدُّ بها .

١١- روى السيوطي في شرح شواهد المغني أنَّ أمير المؤمنين هارون الرشيد بدلاً من المهدي (٤٣) .

١٢- علق شيخُ المؤرخينَ المؤرخُ الكبير الدكتور جواد علي الخبر فقال (٤٤) : (القصةُ من وضع أعداء حمّاد عليه، أو من وضع المتعصبين للمفضل)، وأضاف معلقاً على رواية السيوطي قائلاً (٤٥) : (القصةُ مصنوعةٌ لأنَّ حمّادَ مات سنة ١٥٦هـ وولاية الرشيد للخلافة كانت في سنة ١٧٠هـ) .

وخلاصة القول أقولُ : إنَّ الروايةَ مصنوعةٌ ، ولا أساسَ لها من الصحةِ، ولا يمكن قبولها .

خامساً : القصيدةُ السابعة عشرة ومطلعها (٤٦) : .

ألا ليتَ شعري هلْ يرى الناسُ ما أرى

الأمرَ أو يبدو لهم ما بدا ليا

قال ثعلبُ : قال حمّادُ الراوية (٤٧) : ((قال زُهير يذكر النعمان حينَ طلبه كسرى ليقتله، ففرَّ فأتى طيًّا، وكانت ابنة أوسٍ بن حارثة بن لأم عندهُ، فأتاهم فسألهم أنْ يدخلوه جبلهم، فأبوْا عليه)) .

سادساً : القصيدةُ الثامنة عشرة ومطلعها (٤٨) .

أ عن كل أخدانٍ وإلفٍ ولذةٍ

سلوتُ وما تسلو عن ابنةِ مدلجِ ؟

هذه القصيدةُ رواها ثعلب عن حمّاد الراوية (٤٩)، وكذلك رواها صعوداء .

سابعاً: القصيدةُ الثانية والثلاثون ومطلعها (٥٠) .

لمنْ الديارُ غشيتها بالفدفدِ ؟

كالوحي في حجرِ المسيلِ المخلدِ

هذه القصيدة رواها ثعلب عن حمّاد الراوية (٥١)، وكذلك رواها صعوداء.

ثامناً : القصيدةُ الثالثة والثلاثون ومطلعها (٥٢) .

لقدْ أورثَ العبسيُ مجداً مؤثلًا

ومحمدةً من باقياتِ المحامدِ

هذه القصيدةُ رواها ثعلب عن حمّاد الراوية (٥٣)، وكذلك صعوداء، وسبب نظم القصيدة كما يروي حمّاد الراوية هو (٥٤) : ((وفد رجلٌ من بني عبسٍ يقالُ له شقيقٌ على النعمان بن المنذر، أو بعض الملوك، فأعطاه وحَباهُ وأكرمه، وأنَّهُ لكذلك إذ طُعن في جنازته، فوداه الملك، وبعث بما كان يملك الى أهله، فقال في ذلك زهير :

لقدْ أورثَ العبسيُ مجداً مؤثلاً ومحمدةً من باقياتِ المحامدِ))

القصيدةُ وردتْ في روايات شعر زهير كافة، بثمانية أبياتٍ، إلا أنَّ هناك رواية انفردت برواية مقدمة لهذه القصيدة البالغة ثلاثة أبياتٍ للنابغة الذبياني (٥٥)، وأرجحُ أنَّ الأبياتَ لزُهيرٍ بن أبي سلمى وليست للنابغة الذبياني، وذلك لاتفاق رواة شعر زُهير كافة، على أنَّ القصيدة قوامها ثمانية أبياتٍ، من ضمنها الأبيات الثلاثة المذكورة ، ولم يقولوا أنّ الأبيات الثلاثة متدافعة بين زُهيرٍ والنابغة، والراجح عندي أنَّ روايتها للنابغة الذبياني، هو من بابِ وَهْمَ الرواةُ ليس أكثر.

تاسعاً : القصيدةُ الخامسة والثلاثون ومطلعها (٥٦) :

أبتْ ذكر من حبِّ ليلى تعودني عيادٌ أخي الحمى إذا قلتُ أقصرا

هذه القصيدةُ رواها ثعلب عن حمّاد الراوية (٥٧) إلا أنَّ ثعلبَ أسقطَ من القصيدةِ الأبياتِ الثلاثة الأولى ولم يروِها لأسبابٍ مجهولةٍ لم أقفْ عليها، ولم استطعْ معرفتها، وسقطتْ

من روايةِ ثعلب أربعة أبياتٍ أخرى هي : (١٠، ١١، ١٢، ١٣))، (٥٨) وعلقَ محققُ الديوانِ على ذلكَ قائلًا : ((رواها حمّاد مع شرحِها ولم يروِها غيره)) وهذا ليسَ صحيحًا فالصوابُ، هو أنَّ صعوداءَ روى القصيدة كاملة، وعنه أُثبِتَتْ في طبعاتِ الديوانِ كافةً، ولم يشككْ أحد بروايةِ صعوداء عن حمّاد الراوية، علمًا أنَّ حذفَ المقدمةِ والأبياتِ الأربعة، يُحدِثُ خللًا في القصيدةِ ، وهذا يعني إنقطاع المعانى والأفكار، وعند ذلك تصبحُ القصيدةَ مجردَ مفرداتٍ موزونةٍ وأسطرٍ مرصوفةٍ لا قيمةَ لها، والجديرُ بالذكرِ أنَّ الرواةَ الآخرين رووْا القصيدةَ كاملةَ، كما رواها حمّاد الراوية، وهذا يؤكدُ صحتها .

عاشراً : القصيدةُ السادسة والثلاثون ومطلعها (٥٩) :

فيمَ لحتَ ؟ إنّ لومَها ذعرُ أ حميتَ يوماً كأنّهُ الإبرُ

القصيدةُ رواها ثعلبٌ نقلًا من كتابِ حمّادِ الراوية (٦٠) وكذلك رواها صعوداء، وقُرأَتْ على أبي عمرٍو الشيباني، ورواها المفضلُ الضبّي أيضًا، ولكنْ ليسَ من كتابِ حمَّادِ الراوية (٦١)، وهذا يعني أنَّ المفضلَ الضبّي يوثقُ روايةَ حمّاد الراوية ، فضلًا عن قيامِهِ بصناعةِ نسخةٍ أُخرى من ديوانِ زُهير بن أبي سلمى، ومن ضمنِ الديوانِ هذهِ القصيدة، كما رواها حمّاد الراوية ؛ وهذا يؤكدُ صحةَ القصيدةِ .

حادي عشر : القصيدةُ الثالثة والأربعون ومطلعها (٦٢) :

ويومَ تلافيتُ الصبا أنْ يفوتني

الفروجِ ذي مجالٍ موثقِ

القصيدةُ رواها ثعلبٌ عن أبي عمرٍو الشيباني (٦٣) ولكنَّ اللافتَ للنظرِ، هو ظهورُ حمّاد الراوية على مسرحِ شرحِ القصيدةِ، وذلك من طريق شرحِ البيت الثاني من القصيدةِ (٦٤) :

سَديسٌ كُباري تتطُ نسوعهُ أطيطٌ رتاجٍ ذي سامير مُغلقِ

قال صعوداءُ (٦٥) : ((الرواةُ على كُبارى بالباءِ، فقال حمّادٌ : كُبارى : كبيرٌ ضخمٌ، وكذلكَ قرأتهُ في كتابهِ وبخطّهِ)) وهذا يعني أنَّ القصيدةَ وشرحها موجودانِ ضمنَ محتوياتِ كتابِ

حمَّاد الراوية، وأنَّ حمّادَ الراوية قد شرحَ القصيدة، وأنَّ صعوداء قرأَ القصيدةَ وشرحَها وأثبتها كما وردتْ في روايته لشعرِ زُهير بن أبي سلمى .

ثاني عشر : القصيدةُ الحادية عشرة ومطلعها (٦٦) :

عفا من آلِ فاطمةَ الجَواءُ فيمنْ، فالقوادِمُ، فالحساءُ

روى حمّادُ الراوية (٦٧) عن سعيدٍ بن عمرٍو عن عمهِ، بلغه أنَّهُ يقولُ (٦٨) : ((هجا أهلُ بيتٍ من كلبِ بن عُليم بن جنابٍ، وكان بلغهُ عنهم شئٌ كرهه من وراءِ رجلٍ من بني عبدالله بن غطفان أتى بني عُليم فنزلَ بهم، فأكرموه وأحسنوا جوارَهُ وواسوهُ، وكان رجلًا مولعاً بالقمارِ، فنهوهُ عنهُ فأبى إلا المقامرةِ، فقمروهُ مرةً، فردوا عليهِ مالهُ، ثم قـُمرَ مرةً أُخرى فردوا عليه المال، ثم قـُمرَ ثالثة، فلم يردوا عليه ماله، فرحلَ من عندِهم وشكا ما صُنِعَ به الى زُهير، والعربُ إذْ ذاك يتقونَ الشعراءَ إتقاءً شديدًا فقالَ : يهجو عُليمًا، وقال : ما خرجتُ في ليلةٍ ظلماءَ إلا خشيتُ أنْ يصيبني اللهُ بعقوبةٍ لهجائي قوماً ظلمتهم فقال :

عفا من آلِ فاطمةَ الجواءُ فيمنْ، فالقوادمُ، فالحساءُ

وهذا يعني أنّ القصيدةَ وخبرَها، موثقانِ في كتابِ حمّادِ الراوية ، وعنه أخذوا القصيدةَ وخبرَها .

ثالث عشر : القصيدةُ الخامسة ومطلعها (٦٩) :

بانَ الخليطُ ولمْ يأووْا لمنْ تركُوا

وزودوكَ اشتياقاً أيةً سلكوا

قال حمّادُ الراوية (٧٠) : ((أغارَ الحارثُ بن ورقاء الأسدي، ثم الصيداوي أحد بني الصيداء بن عمرو بن قُعين على طائفةٍ من بني سُليم بن منصور، فأصابَ سبيًا ومالًا وانصرفَ راجعًا، فوجدَ غلامًا لزُهيرٍ حبشياً، يقالُ له يسار في إبلٍ لهُ، وهو آمن في ناحيةِ أرضِهم، فسألهُ لمنْ أنتَ ؟ فقال لزُهير بن أبي سلمى، فساقهُ، وهوَ مُحرمٌ ذلكَ عليهِ، لحلفِ أسدٍ وغطفان، فبلغَ ذلكَ زُهيرًا فأرسلَ إليه أنْ يردَهُ عليهِ فأبى، فقال زُهير بن أبي سلمى في ذلك :

بانَ الخليطُ ولمْ يأووْا لمنْ تركُوا وزودوكَ اشتياقاً أيةً سلكُوا

هذا الخبرُ منقولٌ عن حمّادِ الراوية، وهو يؤكدُ أنَّ القصيدةَ ضمن مدوناتِ كتابه (أشعارُ العرب) إذْ قال حمّادُ الراوية (٧١) : ((لما أُنشِدَ الحارثُ هذا الشعرَ بعثَ بالغلامِ، فلامَهُ قومهُ وقالوا : اقتلهُ ولا ترسل به إليه، فأبى عليهم فقال في ذلك زُهير :

ويومَ تلافيتُ الصبا أنْ يفوتني

برحبِ الفروجِ ذي محالٍ موثقِ

وهناكَ عدةُ قصائدَ ومقطعاتٍ متعددة، رواها ثعلبٌ، وصعوداء من شعرِ زُهيرٍ إلا أنَّهما، لم يشيرا الى الرواية التي نقلا منها، وأنا أرجحْ أنَّهما نقلاها من كتابِ حمّاد، ماداما قد اطلعا عليه ورأياه، وخلاصةُ روايةِ صعوداء، وثعلب تؤكدُ أنَّ حمّادَ الراوية، كان من رواةِ الروايةِ المكتوبةِ، فضلاً عن الرواية الشفوية، وأنَّهُ كان يكتبُ الشعرَ الذي يرويه ويدونه في كتابه (أشعارُ العرب) الذي فُقد مع ما فُقد مع مَنْ كتبِ التراثِ العربي الإسلامي، ولو وصلَ إلينا هذا الكتابُ لوصلنا شعرٌ وفيرٌ ؛ وعلمٌ غزيرٌ، وعسى الأيامُ أنْ تكشفَ لنا عن مخطوطتهِ لاحقاً، فيقيضُ اللهُ سبحانه تعالى له من يحققهُ، لينتفعَ الناس من مكنوناتِ ما فيهِ من الأخبارِ والأشعارِ، وصلى الله تعالى على نبينا محمّدٍ وآلهِ الطيبين الطاهرين، وصحبه الغرُّ الميامين وسلم .

الخاتمةُ الكتابِ

بعدَ سفرٍ طويلٍ ؛ متعبٍ ومرهقٍ في المكتبات، متنقلاً فيه بين هذا المصدر وذاك، مرة أحاور الأخبار، ومرة أحاكم بعضها، أملاً في الوصول الى النتيجة الحقيقية ؛ والسيرة الصحيحة للراوية حمّاد الراوية، وبعد كل ذاك العناء، تبين لي بما لا يقبل الشك أنّ الأخبار التي ترمي حمّاد الراوية بالكذب والنحل والانتحال، كلّها موضوعةٌ وغيرُ صحيحةٍ ؛ وهي مفتراةٌ، كان الهدفُ منها الإساءة للرجل على حساب غيره، وكل ذلك دافعه الصراع المحتدم بين الرواة العرب وغيرهم من الرواة فضلاً عن العصبيةِ المقيتة غير المسوغة لشيوخهم، زد على ذلك الحسدُ والبغضُ والكراهية التي شاعت بين أعلام المدرستين البصرية والكوفية، وبالمحصلة النهائية، أنّ حمّاد الراوية بريئٌ من كلِّ ما رُميَ به تهمٍ وافتراءاتٍ، وهو راويةٌ صادقٌ صدوقٌ، ويكفيه فخراً أنَّهُ حفظ التراث العربي الإسلامي من الضياع .

وآخرُ دعوانا أنْ الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أكرمِ الخلق نبيينا محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغرّ الميامين وسلم تسليماً كثيراً .

الهوامش

١- الفهرست: ١٠٤

٢- معجم الأدباء والمؤلفين : ٢٥٨/١٠

٣- معجم الأدباء والمؤلفين : ٢٦٦/١٠، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ٢٠٥/٢، شرح القصائد التسع المشهورات : ٦٨٢

٤- المؤتلف والمختلف: ٢٢

٥- مختارات شعراء العرب: ٤٤١

٦- شرح ديوان زُهير بن أبي سلمى: ٢١٣ . ٢١٥

٧- شعر زُهير بن أبي سلمى: ٢٥٨

٨- مراتب النحويين: ٧١

٩- المصدر نفسه : ٧١

١٠- المصدر نفسه : ٧٢

١١- جمهرة أشعار العرب: ١٠٤/١، والطبقة عند أبي عبيدة ثلاثية وزهير ثاني الطبقة بعد إمرئِ القيس وقبل النابغة الذبياني .

١٢- طبقات فحول الشعراء: ٥١/١

١٣- الشعر والشعراء: ١٣٧/١

١٤- فحولة الشعراء: ٩

١٥- فحولة الشعراء : ٩، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: ٤٩

١٦- شعر زهير بن أبي سلمى : ٦

١٧- المصدر السابق نفسه : ١٩٧

١٨- المصدر السابق نفسه : ١٩٩

١٩- ثعلب : هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار البغدادي النحوي الشيباني مولى معن بن زائدة، المعروف بثعلب ت ٢٩١هـ، شرح ديوان زُهير بن أبي سلمى : ١٩، ٢٦

٢٠- صعوداء : هو النحوي الكوفي صعوداء بن محمد بن هُبيرة الأسدي، كان من كبارِ رواة الشعر العربي القديم، وكان منقطعاً الى عبدالله بن المعتز، معجم الأدباء والمؤلفين : ١٠٥/١٩

٢١- شرح القصائد التسع المشهورات : ٦٨٢

٢٢- ينظر على سبيل المثال لا الحصر شروح المعلقات : للزوزني، وابن الأنباري، وابن النحاس، والتبريزي .

٢٣- شعره : ٤٥

٢٤- شرح ديوان زُهير: ١٢٤

٢٥- شعره : ٥٨

٢٦- عشرة شعراء مقلون : ٢٧٢، فوات الوفيات : ٢٢١/١

٢٧- كتاب الوحشيات (الحماسة الصغرى)) : ٢٤٧

٢٨- الأغاني: ٢٢٤/١٤-٢٢٧ طبعة دار الكتب، والبيت أخلت به رواية الديوان .

٢٩- الحماسة البصرية : ١/ ١٣٦ والبيت أخلت به رواية الديوان ؛ مما جعلني أرجح أنَّهُ قد توهم .

٣٠- ديوان أبي تمام : ٢٠٥

٣١- الوحشيات : ٢٤٧

٣٢- شعره : ٦٣

٣٣- شعره : ٦٩، ينظر الهامش الأول، شرح ديوانه : ٤١ الهامش الرابع .

٣٤- شعره : ١١٤

٣٥- الأغاني : ٨٥/٦

٣٦- قال ياقوتُ حموي : توفي حمّاد سنة ١٥٥هـ ؛ ينظر معجم الأدباء والمؤلفين : ٢٦٦/١٠، فيما قال أبو الفرج الأصفهاني أنه توفي سنة ١٥٦هـ ؛ ينظر الأغاني : ٨٣/٦، في حين تولى المهدي الخلافة سنة ١٥٨هـ ؛ ينظر تاريخ الخلفاء : ٢٦٢

٣٧- تاريخ الخلفاء : ٢٧٣

٣٨- الأغاني : ٨٢/٦

٣٩- شعره : ١١٤

٤٠- مختارات شعراء العرب : ٢١٠ . ٢١١ ويُلاحظ الهامش الأول من صفحة ٢١٠

٤١- مختارات الشعر الجاهلي : ٢٩٩

٤٢- الشعر والشعراء : ١٣٩/١ ويُلاحظ الهامش الثاني من الصفحة نفسها

٤٣- شرح شواهد المغني : ٢ / ٧٥٤

٤٤- المفصل في تاريخ العرب : ٩ / ٣١٧

٤٥- المفصل في تاريخ العرب : ٩ / ٧١٤

٤٦- شعره : ١٦٧

٤٧- شرح ديوان زُهير : ٢٨٤

٤٨- شعره : ٢١٧

٤٩- شرح ديوان زُهير : ٣٢١

٥٠- شعره : ٢٢٩

٥١- شرح ديوان زُهير : ٢٦٨

٥٢- شعره : ٢٣٥

٥٣- شرح ديوان زُهير : ٣٢٧

٥٤- المصدر السابق نفسه : ٣٢٧

٥٥- ديوان النابغة الذبياني: ١٨٩

٥٦- شعره : ٢٣٩

٥٧- شرح ديوان زُهير : ٢٦٠

٥٨- المصدر السابق نفسه : ٢٦١ . ٢٦٢

٥٩- شعره : ٢٤٢

٦٠- شرح ديوان زُهير : ٣١٣

٦١- المصدر السابق نفسه : يُنظر الهامش الأول : ٣١٣

٦٢- شعره : ٢٥٨

٦٣- شرح ديوان زهير : ٢٤٥

٦٤- المصدر السابق نفسه : ٢٤٦

٦٥- المصدر السابق نفسه : ٢٤٦

٦٦- شعره : ١٢٢

٦٧- شرح ديوان زُهير : ٥٥

٦٨- الفاعل ضمير مستتر يعود على زُهير

٦٩- شعره : ٧٨

٧٠- شرح ديوان زُهير : ٣٢٦

٧١- المصدر السابق نفسه : ٣٢٦

المصادر و المراجع

١–ابن خالويه وجهوده في اللغة (شرح مقصورة ابن دريد) – تحقيق د.محمود جاسم درويش، ١٩٩٠م، بغداد .

٢– الاشتقاق . ابن دريد، تحقيق عبدالسلام محمد هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣–الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني، مصورة دار الكتب المصرية ،

ية، د.ت . ٤–الأمالي – لأبي علي القالي، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م .

٥– أمالي اليزيدي – أبو عبدالله محمد بن العباس اليزيدي، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

٦– جمهرة اشعار العرب . أبو زيد القرشي، تحقيق محمد علي البجاوي، ١٩٦٧م، مصر.

٧– جهود أبي علي المرزوقي في الرواية والنقد واللغة – رسالة دكتوراه، للسيد زكي ذاكر العاني، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد .

٨– حلية المحاضرة من صناعة الشعر – أبو علي محمد بن عبدالحسن بن المظفر الحاتمي، تحقيق د.جعفر الكناني، دار الرشيد، (د.ت) .

٩–الحماسة البصرية – لصدر الدين بن أبي الفرج، حيدر آباد، الهند، ١٩٦٤م .

١٠–الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ) تحقيق محمد علي النجار، ط٢، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م، مصر .

١١–الحماسة الصغرى (لوحشيات) . أبو تمام الطائي، علق عليه وحققه عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر .

١٢–ديوان أبي تمام الطائي . شرح وتعليق شاهين عطية، مراجعة الأب العلامة بولس الموصلي مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبنانية، اللغازارية، ط١، ١٣٨٧هـ ١٩٦٨م، بيروت .

١٣–ديوان الأعشى الكبير . شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط١ ١٤٠٧ هـ. ١٩٨٧م، بيروت .

١٤– ديوان امرئ القيس – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف بمصر.

١٥-ديوان المفضليات – الأنباري، ١٩٢٠م، بيروت .
١٦- ديوان النابغة الذبياني . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر .
١٧- ربيع الأبرار – الزمخشري (ت٥٣٨هـ) تحقيق د٠سليم النعيمي، ١٩٨٢م، بغداد .
١٨- سمط اللآلئ – لأبي عبيد البكري، تحقيق عبدالعزيز الميمني، مصر، ١٩٣٦م .
١٩- شرح اختيارات المفضل – للتبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الكتب العالمية، ط٢، ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م، بيروت .
٢٠- شرح ديوان الحطيئة – تحقيق د.نعمان أمين طه، ط١، ١٩٨٧م، القاهرة.
٢١- شرح ديوان زُهير – صنعة ثعلب، طبعة دار الكتب، ١٩٤٤م، مصر.
٢٢- شرح شواهد المغني – للسيوطي، تصحيح وتعليق الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي، لجنة احياء التراث العربي، (د.ت) .
٢٣- شرح القصائد التسع المشهورات – أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس.؛ تحقيق الدكتور أحمد خطاب العمر ؛ دار الحرية للطباعة والنشر ؛ ١٩٧٣م – ١٣٩٣هـ ؛ بغداد .
٢٤- شرح الكافية . للرضي الإستربادي، مطبعة بولاق، ١٢٢٣هـ، القاهرة.
٢٥- شرح المعلقات العشر المذهبات – للتبريزي، مطبعة كارس يعقوب لايل، طبع دار الأمانة، (د.ت) .
٢٦- شعر ديوان زُهير . صنعة الاعلم الشنتمري، تحقيق د.فخرالدين قباوة، منشورات دار الافاق الجديدة، ط٣، ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م، بيروت.
٢٧- الشعر والشعراء . ابن قتيبه (ت٢٧٦هـ) تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، دار المعارف، ١٩٨٢م، القاهرة .
٢٨- شعراء اسلاميون – د.نوري حمودي القيسي، مكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م، بيروت .

٢٩- طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلّام الجمحي، قراءة وشرح محمود محمد شاكر، مصر، د.ت .
٣٠- عشرة شعراء مقلون . د.حاتم الضامن، دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٤١١هـ . ١٩٩٠م، بغداد .
٣١- العقد الفريد – أحمد بن عبدربه، تحقيق د.عبدالمجيد الترحيني، ١٩٨٧م، بيروت .
٣٢- عيون الأخبار . ابن قتيبه، تحقيق يوسف علي الطويل، د.ط، ١٩٨٥م، بيروت .
٣٣- فحولة الشعراء، الأصمعي أبو سعيد عبدالملك بن قريب، تحقيق ش توري، قدم له د٠صلاح المنجد، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٣٨٩هـ . ١٩٧١م.
٣٤- الفهرست – للنديم أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق، تحقيق رضا تجدد، د٠ت .
٣٥- قطب السرور في أوصاف الخمور – الرقيق النديم ابراهيم بن القاسم، تحقيق أحمد النجدي، ١٩٦٩م، دمشق .
٣٦- كتاب جمهرة الأمثال – أبو هلال العسكري، تحقيق محمد أبو القضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف بمصر، (د.ت) .
٣٧- مجالس العلماء – الزجاجي، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ١٩٨٣م، القاهرة .
٣٨- مختار الشعر الجاهلي – لهبة الله بن علي أبو السعادات العلوي المعروف بابن الشجري، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع، الفجالة، القاهرة، ١٩٧٥م.
٣٩- مختارات أشعار العرب –للأصمعي عبدالملك بن قريب (ت٢١٦هـ)، شرح وترتيب عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة،ط٤، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م القاهرة .
٤٠- مراتب النحويين – أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة نهضة مصر، ١٩٥٥م.

٤١- المزهر في علوم اللغة وأنواعها – للسيوطي، شرح وتعليق محمد جاد المولى وزملائه، ١٩٨٦م، بيروت.
٤٢- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية – د. ناصر الدين الأسد، ط٣، دار المعارف، ١٩٦٦م، مصر .
٤٣- المصون في الأدب – تأليف أبي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢ ؛ مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م، الكويت .
٤٤- المعارف – محمد بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) تحقيق وتقديم ثروت عكاشة، منشورات الشريف الرضي، ط١، ١٤١٥هـ، مصر.
٤٥- معجم الأدباء والمؤلفين – لياقوت الحموي، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٠م، القاهرة.
٤٦- معجم لسان العرب – لابن منظور، أعاد بناءه على الحرف من الكلمة يوسف خياط ونديم المرعشلي، بيروت، (د.،ت) .
٤٧- المعرب من الكلام الأعجمي على حرف المعجم – لأبي منصور الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، ١٩٦٩م.
٤٨- المؤتلف والمختلف – للآمدي، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦١م، القاهرة.
٤٩- نزهة الألباء في طبقات الأدباء – لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، مصر، (د.ت) .
٥٠– وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان – لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٤٨م، القاهرة .

فهرست المحتويات

- الآية ٣
- الإهـــــداء ٤
- المقدمة ٥
- الفصل الأول : حمّادُ الراوية بين يدي القضاء الأدبي ١١
- المبحث الأول : سيرة حمّاد الراوية ١٥
١- شخصيته ١٥
٢ – موارده الثقافية ٢٢
- المبحث الثاني : محاكمة حمّاد الراوية ٢٤
خصوم حمّاد الراوية ٢٤
- أولاً : المفضل الضبّي ٢٤
- ثانياً : يونس بن حبيب الضبّي ٢٩
- ثالثا : أبو سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي ٣٢
- رابعا : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ٣٣
- خامساً : محمد بن سلّام الجمحي ٣٤
- سادسا : ابن عبد ربه الأندلسي ٣٧
- سابعا : اسحق بن حسان المعروف بالخريمي ٣٩
- ثامنا : الشريف المرتضى ٤٠
- تاسعا : الدكتور محمد مهدي البصير ٤٢
العلماء والرواة الذين يوثقون روايات حمّاد الراوية ٤٤
- أبو عمرو بن العلاء ٤٤
- الهيثم بن عدي ٤٤
الطرماح بن حكيم الطائي ٤٤
- أبو الطيب اللغوي ٤٤

– أبو البركات الأنباري ٤٣
– رواة المعلقات ٤٥
– أبو سعيد السكري ٤٦
– أبو هلال العسكري ٤٦
– ابن الشجري ٤٦
– جلال الدين السيوطي ٤٨
– عبدالقادر البغدادي ٤٨
الدكتور محمود عبدالله الجادر وحمّاد الراوية ٤٨
خاتمة الفصل ٥٠
الهوامش ٥٠
المصادر والمراجع ٥٧
الفصل الثاني : حمّاد الراوية : آثاره وآراؤه النقدية ٦١
– المقدمة : ٦٣
– المبحث الأول : آثــاره ٦٧
– أولا : اشعار العرب ٦٧
– ثانيا : اشعار الرباب ٦٨
– ثالثا : القصائد المشهورات (المعلقات) ٦٩
– رابعا : ديوان امرئ القيس ٦٩
– خامساً : ديوان زُهير بن أبي سلمى ٧٠
– خامسا : ديوان الحطيئة ٧١
– المبحث الثاني : آراؤه النقدية ٧٢
حمّاد الراوية والكميت بن زيد الأسدي ٧٨
– المبحث الثالث : حمّاد الراوية اخباريا ٨٠
خاتمة الفصل ٩٨

الهوامش ٩٨
المصادر المراجع ١٠٦
– الفصل الثالث : شعر زُهير بن أبي سلمى في مرويات حمّاد الراوية ١١١
– خاتمة الكتاب ١٢٤
– الهوامش ١٢٥
– المصادر المراجع ١٢٩
– فهرست المحتويات ١٣٣